

رؤية العالم عند الروائي حنا مينة من خلال رواية بقايا صور

أ. لطرشي الطيب

أ. هورة نسيمة

كلية الآداب واللغات، الجلفة

السيرة الذاتية لحنا مينة

أ — العائلة :

لقد عاشت أسرة حنا مينة جل هذه الأحداث السياسية الاجتماعية و تأثرت بها في حياتها اليومية المتواصلة ، وقد ظلت طوال سبع عشرة سنة متنقلة بين "لواء إسكندرون" و"اللاذقية" في حالة من البؤس والشقاء ، ففي سنة 1924 غادرت الأسرة اللاذقية لكي تستقر في قريتها الأصلية في اللواء " السويدية " و اشتغلوا في مزرعة المختار بطروف العمل القاسية ، فانتقلت إلى قرية قره أغاش قرب مدينة إسكندرونة ، لكن سرعان ما غادرت هذه القرية إلى " قرية الأكبر " حيث أصيب أفرادها بمرض الملاريا ، حيث ظل الأبناء مع أمهم في عزلة مقيتة على إثر مغادرة الأب لهم فلم يجدوا مأوى 321 .

ففي مدينة إسكندرونة عاشت الأسرة مدة تناهز السنوات العشر (1929،1939) ، وقد عرفت فيها بداية الاستقرار ، إذ استطاعت أن تبني كوخا في " حي أبناء السويدية " وهي حي الهامشين يقطنه البطالون والسكرارى واللصوص . 322

كان الأب سيئ الحظ ، يلهث دائما وراء " رغيخ الخيال " ورغم المهن المختلفة التي زاو لها ، فإنه لم يفلح أبدا في إتقان أي منها ، فقد كان رجلا مقبلا عن اللذة ، مهما كثير المغامرات الجنسية ، كثيرا ما يكون في حالة سكر و إعياء تثير في نفس الابن ضربا من الخجل والكره. 323

عاشت الأم يتيمة في السويدية ، وعملت خادمة في بعض المنازل مع أختها ، وحتى عندما تزوجت وظلت صورة الأخ أتاه الأجل ، تلاحقها ، ظلت تشتغل بصحبة بناتها لدى العائلات الثرية لتساعد زوجها منكودا متحملة في ذلك الإهانة والقهر . 324

ب — حنا مينة :

321 محمد الباردي ، حنا مينة روائي الكفاح والفرح ، دار الأدب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص 15

322 المرجع نفسه ، ص 16

323 المرجع نفسه ، ص 17

324 المرجع نفسه ، ص 18

في هذه العائلة الفقيرة نشأ حنا ، ولقد كان الولد الوحيد يعد ثلاث بنات ، ولتتبع حياته المتشعبة
وجب تقسيمها إلى أربع مراحل مختلفة الأهمية والدلالة :

1- 1924-1948 :

في سنة 1924 وفي مدينة ساحلية " اللاذقية ، ولد حنا مينه على الرغم من أن مضمون ولادته
المسجل بعد عشر سنوات يؤكد إلى الآن أنه عرف النور في مدينة السويدية³²⁵

وهو الولد الوحيد بين أخواته ، وفي السابعة من عمره سجلته أمه في مدرسة أرثوذكسية ، وبذلك
حققت أملها في أن ترى وحيدها يسعى إلى " فك الحرف " إذ لا أحد في العائلة قادر على ذلك ،
وفي سنة الرابعة من تعليمه الابتدائي ينتقل إلى مدرسة دينية أخرى هي المدرسة الراشدية وفيها يوفق
في امتحان الشهادة الابتدائية سنة 1936 وهي الشهادة الوحيدة التي تحصل عليها والتي تعتبرها
الأم أرقى شهادة في سورية منذئذ غادر المدرسة فهاثيا لكي يشتغل في أحد المستودعات ، وفي الميناء
أرهبه العمل فكلفه رئيسته ، بتسجيل الأكياس وبذلك أصبح كاتباً حسب عبارة الأم³²⁶ . ومن ثم
عمل لدى عائلة ثرية كلفته برعاية أحد أطفالها ، و أيضا عمل في إحدى الصيدليات وصانع حلاق
وبائع خضر كما اشتغل في مقهى وفي ملعب للتنس وفي أحد الحقول³²⁷

1948-1959 :

غادر حنا مينه اللاذقية متوجها إلى بيروت ، ظل متصلا بالحياة الثقافية والأدبية في وطنه عن طريق
المراسلة ، عاد إلى دمشق صحفيا شهيرا ، فارتقى بسرعة من محرر في جريدة الإنشاء إلى رئيس
تحرير مسؤول في نفس الوقت عن الصفحة الأدبية والسياسية الخارجية ، حيث يقول هذه لمرحلة
مرحلة النجاح والحياة اليسيرة إلا أنه على إثر الانقلاب العسكري الذي قام به حسني الزعيم سنة
1949 ، قرر الهجرة إلى بيروت من جديد فرارا من النظام الجديد الذي قرر ملاحقة التقدميين
عامه³²⁸

1959-1967 :

³²⁵ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب بيروت ، الطبعة الأولى ، ص 19

³²⁶ المرجع نفسه ، ص 20

³²⁷ المرجع نفسه ، ص 21

³²⁸ المرجع نفسه ، ص 22

أصبح في هذه المرحلة صحفياً وروائياً ، وجد نفسه يشتغل في مطعم وفي معمل لقطع المسامير وفي ورشة للبناء ، لكن الحاجة ألحت عليه فتوجه إلى أوروبا واليابان والصين³²⁹ لم يقرر حنا مينه العودة النهائية إلى أرض الوطن إلا سنة 1967 بعد هزيمة الجيوش العربية في حربها مع العدو الصهيوني .

4- 1967-1969 :

عاش الكاتب شهوراً عديدة في مدينة اللاذقية حياة نفيسة مضطربة ، فقد ظل ، بالرغم من وقوف الكاتب الفلسطيني معين بسيسو إلى جانبه ، فقد أوشك أن يفتح محله " صالون الأمل " عندما أعانه معين بسيسو وسعيد حوارانية على تحويل روايته الثانية " الشراع والعاصفة " إلى مسلسل في ثلاثين حلقة³³⁰ في نهاية 1969 يعين " خبيراً في التأليف والترجمة بطريق التعاقد " في وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

ج- حنا مينه ، رجل سياسة :

لقد جعلت الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عرفتتها سوريا منذ بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية النصف الأول في هذا القرن من الكاتب " خامة صالحة للتشكل اليساري " فمع نهاية الحرب الكونية الثانية هبت " رياح الأفكار اليسارية " على الوطن العربي عموماً³³¹ فخرجت مظاهرات تحمل شعارات سياسية و اجتماعية وتطالب بضرورة العمل حفاظاً على لقمة العيش وتدعوا إلى جلاء الجيوش الاستعمارية والاستقلال الوطني ، ففي هذه المدينة بدأ حنا مينه نضاله السياسي مبكراً ، بحيث تمكن لأول مرة من قراءة "كراس " يتعلق بالأوضاع النقابية عن طريق أحد النقابيين الشيوعيين ويدعى " فائز الشعلة " ، ويبدو أنه لم يفهم شيئاً كثيراً من هذا الكراس ، بحيث سجن في مدينة حلب ، أبعده إيديولوجياً من الدين ، وبذلك اغتصب فائز شعلة المكانة التي كانت تحتلها العذراء في قلب حنا مينه و أصبح بطله وعروس أحلامه .³³²

³²⁹ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص 23

³³⁰ المرجع نفسه ، ص 24

³³¹ المرجع نفسه ، ص 25

³³² المرجع نفسه ، ص 26

وحفر بدوره وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره اسم لينين زعيم ثورة أكتوبر السوفيتية ، فقد كان يروج الحزب الشيوعي السوري " صوت الشعب " ويجرر الاحتجاج على السلطات الاجتماعية .

ففي كتابه " هواجس في التجربة الروائية " يؤكد أن مسؤوليته ككاتب ملتزم تحتم عليه الابتعاد عن العمل السياسي .³³³

د- حنا مينة رجل ثقافة :

لقد استطاع حنا مينة أن يجمع بين السياسة والثقافة ، فالحياة بالنسبة إليه ، بطبيعتها سياسية ، والروائي يأخذ مقطعا أو شريحة من هذه الحياة ، فقد كانت قراءاته الأولى قراءات أدبية ، ذلك أن قصص " الزير سالم " و " تغريدة بني هلال " و " سيف بن ذي يزن " و " ألف ليلة وليلة " و " طرزان " كانت الكتب الأولى التي نمت لديه حب القراءة الذي بدأ في المدرسة عن طريق " المدارج " و " كتاب المشوق " و مجلة " المكشوف " .³³⁴

إن مقالاته السياسية التي عاجلت بعض المسائل الوطنية وقاومت الاستعمار بأشكاله المختلفة ، تعتبر شهادة على التزامه السياسي ، فبعدها ألف مجموعة من القصائد " الرديئة " شرع في تأليف قصته القصيرة الميلودرامية الأولى " الرجل أو هذا الرجل " وهي تعالج تجربته العاطفية الأولى مع إحدى جاراته .³³⁵

و أيضا كتب " اليأس " قصة ذات أذكار سوداء كتبها متأثرا بقصيدة رومانسية لبشارة الخوري ، لفت انتباه القراء إلا سنة 1954 عندما أصدر روايته الأولى " المصايح الزرق " التي استقبلت استقبالا حسنا ، وفي سنة 1956 كتب روايته الثانية " الشراع و العاصفة " وفي سنة 1957 كتب روايته الثالثة " الخيط الذي لا يرى " التي لم ترى النور .³³⁶

تأثيره على الأدب :

كانت مساهمة حنا مينة كبيرة في الأدب وخاصة في أدب البحر ، لأن الأدب العربي القديم يكاد يكون خاليا من الإبداع العربي ، كتب تقريبا ثمانية روايات عن البحر، أهمها " الشراع والعاصفة "

³³³ محمد الباردي ، حنا مينة روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص 27

³³⁴ المرجع نفسه ، ص 29

³³⁵ المرجع نفسه ، ص 30

³³⁶ المرجع نفسه ، ص 31

التي أطلق عليها النقاد اسم قصيدة البحر أو ملحمة البحر ، ونال عليها جائزة ، وقد ترجمت رواياته إلى سبعة عشرة لغة أجنبية ، حيث " المصاييح الزرق " ترجمت إلى الروسية والصينية والشرع والعاصفة ترجمت إلى الروسية والإيطالية ، و " الشمس في يوم لا تغيب " ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية ، وهكذا يبرهن أن أدب حنا مينه قد انتشر عالميا وساعده على انتشار تجربته في أوروبا والصين بالإضافة إلى الوطن العربي ، فلقد عبر عن علاقة الأنا بالآخر ، حيث تذكر دراستها ، أن مفهوم الآخر يتمثل في بحوث الأدب المقارن بصور شعوب وما تتضمنه من أنماط بشرية مختلفة ، فمن خلال أعماله نرى تفاعل الذات مع الآخر سلبا وإيجابا ، وهكذا قد تخطت روايات حنا مينه حدودها اللغوية العربية ، حيث خرقت القومية عن طريق الترجمة ولقد تميزت أعماله بمستوى فني وفكري ، ومن بين أعماله الأدبية المصاييح الزرق ، الشرع والعاصفة ، الثلج يأتي من النافذة الشمس في يوم غائم ، الياطر ، بقايا صور ، المستنقع ، القطاف ، الأبنوسة البيضاء ، المرصد ، حكاية بحار ، الربيع والخريف ، حمامة زرقاء في السحب ، نهاية رجل شجاع ، الولاة ، فوق الجبل وتحت الثلج ، الرحيل عند الغروب ، النجوم تحاكم القمر ، القمر في المحاق ، المرأة ذات الثوب الأسود ، حدث في بيتاخو ، عروس الموجة السوداء ، المغامرة الأخيرة ، الرجل الذي يكره نفسه ، السجن ، حياة ناضم ، الغم الكركزي .

ملخص الرواية :

تفتح الرواية على مشهد أب ينقل على محمل ، والطفل يرى إليه وهم يخرجون به من بوابة الدار لا يدري إلى أين ، والأم تبكي وراءه ، ونعلم من الطفل أنه في هذه الدار في اللاذقية ، ولد ، ولكنه لا يذكر منها إلا بقايا صورها ، لأنه حين يعود إليها في يفاعته تكون قد هدمت . ثم يعود بنا الطفل وهو يرحل مع أسرته إلى بلدة السويدية ، ليقص علينا ظروف مرض والده ، والهجرة التي فرضت على الأسرة بعد شفائه ، وما عانته الأسرة من شقاء وخوف في الكوخ الطيني من الحقل الأجرد الذي يملكه المختار الإقطاعي في الشمال السوري قرب أنطاكية .³³⁷

الأسرة تتألف من أب وأم وثلاث بنات صغيرات والطفل راوي القصة ، منذ وصول الأسرة إلى ذلك الكوخ ، يرحل الأب في طلب الرزق لكنه دائما يعود خائبا ، فهو لا يستطيع أن يستقر ولا كيف يستقر ، وهو لا يعاني من التفكير في تحمل مسؤولية الأسرة إنه سكير ، متهالك فاقد الإحساس بالخوف ، فاقد الصبر على الأشياء ، مغامر ، خاسر مستعذب ندمه .

³³⁷ حنا مينه ، بقايا صور ، الطبعة الأولى ، دار الآداب ، بيروت ص 38

تبقى الأم في ذلك الكوخ الطيني ، وسط الفقر والمطر والخوف ، تحتضن صغارها متحملة أذى الحياة و اضطهاد المختر ، لا جبر لها سوى جارة أرملة شجاعة هي البديلة لها ولا منقذ لها من سجن المختر سوى انتفاضة الأمومة في جوارحها خشية على أطفالها ، وسوى شبح أخ مات وهي صغيرة تناجيه في عذاباتها التي تؤمن أنهما ما كانت لتكون لو أنه حي ، أو لو أنه يبعث حيا بأعجوبة ما .

ومن السويدية ، بعد سنوات من الشقاء ، هرب العائلة إلى قرية " قرّة أغاش " قرب إسكندرونة ، وتضطر الحاجة إلى استخدام بنتيها عند الناس ، فتبقى الأخت الصغرى والطفل ، وتقسو الظروف على العائلة فيضطر بها الرحيل إلى قرية " الأكبر " في ريف إسكندرونة حيث بلغ بهم الشقاء حتى التسول .³³⁸

وهناك يعاود الأب سيرته في الخيبة ، تعاود الأم سيرتها في احتمال الفقر والخوف وضياع البنت الخادم ، وملاقة الشدائد بالابتسام الذي يعلو على معنى الصبر³³⁹ دلالة على صمودها العجيب والمجاهدة الغدة للمرأة والأم ، حيث هي التي ستلتقي هنا أيضا بالمرأة البديلة لها ، البديلة لخوفها بجرأتها ، البديلة لوداعتها باستهتارها والمشاركة لها في ناحية جوهرية هي كونها امرأة وأما أيضا ومن هذا المنطلق تكون زنوبة في قرية الأكبر عوناً للأم كما كانت الأرملة عوناً لها في بلدة السويدية ، لكن زنوبة كالأرملة ، تصبح عشيقة الأب الخائب المغامر ، إضافة إلى أنه جميل .

وكما يأتي الحرير الاصطناعي الوافد مع الاحتلال الفرنسي لسورية ليهدم صناعة الحرير الطبيعي ، ويشرد المزارعين الذين يربون القز ، ويجرب بيوت الفلاحين وصغار التجار في السويدية ، يأتي الجراد ليفتك بمواسم الحبوب في " الأكبر " ويصبح الفلاحون جياعا ، وفي قلب الشتاء ينقلبون إلى ذئاب تطلب طعامها لحياهما ، فيهاجمون مخزن غلال الإقطاعي ، وينهبون الحبوب تحدث تلك الانتفاضة الفلاحية المبكرة ، وتقتل زنوبة الشجاعة التي ترفض أن تشي بمواطنها ، تتحدى الدرك ، وتهيج الفلاحين ، وتدفع حياهما ثمنا لتمردهما ، وثورتها على الجوع والظلم و اضطهاد الإقطاع والدرك وتختتم بطريق عودة العائلة إلى المدينة .³⁴⁰

رؤية العالم الروائي عند حنة مينه :

أولا : الشخصيات : سمات وملامح عامة :

³³⁸ المصدر نفسه ، ص 39

³³⁹ حنا مينه ، بقايا صور ، الطبعة الأولى ، دار الآداب ، بيروت ص 39

³⁴⁰ المصدر نفسه ، ص 40

تعددت الشخصيات في روايات حنا مينه ، وزخر عالمه الروائي بشخصيات فقيرة وثرية ، مناضلة ، محتركة ، عربية ، أجنبية ، ثابتة ونامية ، نموذجية ورمزية ، ولقد لقيت البعض منها اهتمام من النقاد العرب ، فالشخصية تعتبر وسيلة الروائي تجسد رؤيته للعالم والناس ، لذا قد رسمت هذه بدءا من رواية " المصايح الزرق " حتى رواية نهاية رجل شجاع مرتبطة بظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية حرجة وغير مستقرة ، ومن السمات المشتركة التي تجمع بينها على كثرتها وتنوعها ، هي أنها شخصيات عادية غير خارقة تغلب عليها البساطة والعفوية مثل : " شخصية الطروسي والتحدي مثل : الأم في المستنقع ، والرغبة في التغيير والسعى للعمل مثل : " أحمد في الشراع والعاصفة " وهي في معظمها متفائلة ، ولا تعاني من العقد النفسية مثل : " شخصية نجوى في الشراع والعاصفة " والغالبية تتم بالآخرين تتفاعل معه مثل : شخصية زنوبة في بقايا صور ، وتتركز هموم الشخصيات المحورية وقضاياها حول النضال في سبيل المجتمع ، فقد خلت الروايات من القدر والمصادفات مثل : رواية ثلاثية البحر ، ومن المواقف المشتركة بينها تعاطف معظمها مع المرأة المنحرفة مثل : تعاطف السارد مع زنوبة في رواية " بقايا صور " ، وهذه السمات تنحصر في الحلقة الأخيرة الصادرة بعد عام 1990 ، ففي الحلقتين الأولى والثانية فقد استبدلت بعفويتها وتعقيدها وتكلفتها ، ولحركتها وتفاعلها مع واقعها ثابتا جمودا ، إذا صورت منقطعة عن حركة الواقع فبدت بلا قضية ، تعاني من الملل ، العجز عن الحب ، وبغرابة الأطوار ، تتعامل مع المرأة باستعلاء وتلذذ الخمر والجنس والتدخين

ثانيا : شخصية البطل :

يصاغ العالم الروائي عند حنا مينه من خلال التركيز على شخصية محورية وتبدو هذه في الأغلب وسيلة رئيسية لتجسيد الرواية ، وتوصف معظمها بالبطولة الفنية والواقعية في روايات الحلقتين الأولى والثانية ، بينما تبدوا في روايات الحلقة الأخيرة الصادرة بعد عام 1990 بعيدة عن هذا الإطار ، فهي غير مقنعة ، يبدأ البطل وهو إنسان عادي بسيط يبدأ بلا رسالة ، إلا أن انغماسه مع الواقع يجعله يتفاعل معه .

شخصية البطل : سمات وملامح عامة :

لم تكثر الروايات كثيرا بوصف الصفات المادية لأن الرؤية الغالبة لا تركز على الفرد وإنما على حركته وعلاقته داخل المجتمع ، إلا أنها تعمدت في بعض الأحيان في وصف عدد كبير وخصوصا ، الأبطال الذين اضطروا الخوض المعارك مثل : " فارس الطروسي وزكريا " واختارت الروايات حل أبطالها من أبناء الطبقة الفقيرة ، وهناك ثريان فقط حظي بالبطولة هما : الفتى في "

الشمس في يوم غائب " و " فاطر اللجاوي " في " الرحيل عند الغروب " ، إلا أنهما يثوران على قيم الطبقة التي ينتميان إليها ، ويتبنيان قضية الطبقة الفقيرة ، وهذا له علاقة برؤية الروايات التي تومئ إلى أن الفقراء هم الذين يحملون على جباههم بؤار المستقبل .

وقد مارس عشرة من أبطال العمل البدوي ، و امتهن سبعة الكتابة منهم الروائي : "كرم ، جهاد ، والشاعر مروان الطوراني ، والصحفي عبد الجليل الحصابوي ، ولم ترسم الروايات أبطالاً من ذوي المهن الهندسية أو الطبية أو القضائية ، إلا أن الفنان الوحيد هو "دميترو الموسيقي " وجاء الأبطال أغلبهم من العزاب ، ولم تصور متزوجاً سوى " زكريا " في " الياطر " و جهاد في " حمامة زرقاء في السحب " .

ومن السمات التي يتكرر وجودها : التحدي ، الجرأة ، الكرم ، الشهامة ، مثل سلوك فارس بطل المصايح الزرق .

هذه السمات العفوية شجعتهم على الدخول في اللجة ، حيث احتكوا بالواقع مما زادهم وعياً بقضايا مجتمعهم الاقتصادية والسياسية ، وهم يتفاوتون في وعيهم ففارس مثلاً : لم يكتمل وعيه فأنهزم وبالعمل يزداد كذلك وعيهم حيث كان وجود المرشد ، المعلم ، ضروري لتعميق ذلك الوعي ، ففي إحدى عشرة رواية يجد البطل شخصاً يرشده ويجدد انتمائه ، حيث ينتمي هذا المرشد إلى فئة العمال النقابيين والمتقنين مثل : عبد القادر في " المصايح الزرق " والخياط في " الشمس في يوم غائم " ويلتقي الفتى في المستنقع بالنقابي سيبرو الأعور ، أما المرشدون المثقفون فهم : أستاذ كامل في " الشراع والعاصفة " و ماهر في " نهاية رجل شجاع " و صبحي في " الولاة " و صلحي شكري في " الرحيل عند الغروب " حيث تتسم العلاقة بين البطل والمرشد بالاحترام والطاعة .

ويلاحظ الدارس عدم وجود إيديولوجيا واحدة خالية من الشوائب فلا بد أن يحمل معه روااسب مجتمعه قد لاحظ نبيل سليمان أن حياة كرم المجاهد في الربيع والخريف تبنى على عنصر المصادفة ولا يخلو من وجود إيمانية مسيحية دنيئة على الرغم ما يظهره من التمركز ويعزز جورج طرابيشي حيث يقول : أن مواقف أبطال حنا مينه من المرأة دليل قاطع على انتمائهم للواقعية حيث تشكل المرأة محورا هاماً في حياة البطل إلا أنها ليست بالأساس فقد تعاملوا معها أمها نبع العطاء ومصدر الحماية ، فقد ظهرت كثيراً في الروايات أما المرأة كزوجة فهي قليلة الظهور ، ووجودها كخطيئة أو حبيبة وزوجة لا يعيق البطل من إقامة علاقة مع امرأة أخرى مثل : فارس وحبه لرندة وكان يقيم علاقة جنسية مع زوجة الضابط كما يلاحظ الباحث أن الحب العذري لا مكان له في قلب بطل

من أبطال الروايات ، وموقف الأبطال في الحلقتين الأولى والثانية شجاع ومتسامح ، مع المرأة المنحرفة .

أما في الحلقة الأخيرة فموقفهم يتسم بالتعالي والتشوق وسوء التعامل وتتبع شخصيات الروايات المحورية ، تبين الدارس أن معظمها تقوم بحركة محورية تشبه الاستدارة ، فهي تبدأ من وقع معين ثم تعود إليه بحثا عن طريق لاكتساب الوعي ، فالطروسي يقوم في البر قسرا بعد تحطم مركبه ثم يعود للبحر اكتسابه وعيا مكثه الانتماء للجماعة ، والعمل من أجلها كما يلحظ أن البطل قد لا يحقق طموحاته كلها في هذه الاستدارة لكنها تعبر عن أهمية تعرف الواقع وتحسس آلامه بشكل مباشر والاندماج به عبر مسار تغيره ، حيث تجسد من خلال الاستدارة رؤية تقول بأن مجابهة الظروف تساوي أحيانا الانتصار عليها ولا ينتهي بموت أو الاختفاء التام سوى أربعة منهم : فارس في " المصاييح الزرق " ومفيد في " نهاية رجل شجاع " و " صالح حزوم في " حكاية البحار " و " ديميتريو في " مأساة ديميتريو " وقد وظفت هذه النهاية المأساوية لخدمة رؤية الروايات مثلا : " يفسر غرق فارس واختفائه حيث يرمز إلى تعثر الوعي الجديد الذي ينمو في المرحلة التي تقع فيها الأحداث لذا فإن الرواية لم تؤكد موته أما موت كل من صالح ومفيد فقد يهدف إلى تجسيد فلسفة ترى أن العمل الفردي مهما كان نبيلًا فلن يصل بصاحبه إلى أهدافه فالطموحات تتحقق من خلال الجماعة ، أما الاديميتريو فقد يكون غرض الرواية بالقول بأن حياة الإنسان الذي يسحق عواطفه ويرفض الاعتراف بها لتتقلب إلى مأساة الموت

أبطال الروايات بين الثبات والنوم :

من الحقائق العامة في نقد الرواية أن الشخصية النامية هي التي تتكشف القارئ بالتدرج حيث تنمو بتفاعلها مع الأحداث سواء كان تفاعل ظاهر أو خفي وأول شخصية نامية هي البطل فارس التي تكشف القارئ بالتدرج على تأثر بالأحداث من حوله وأثر فيها وفي نهاية كانت الهزيمة إلا أنها كانت تخدم رؤية الرواية والطروسي البطل المثالي الثاني ، فلقد بدأ فرديا ليس له سوى استعادة وضعه السابق (ريسا) لكن الظروف اضطرت له للبقاء على الشاطئ فتغير مواقفه وتكشف أبعاده النفسية فينمو لديه الإحساس بالجماعة

أما الصنف الآخر من الشخصيات هو الذي وصفه موير بشخصية " أسيرة العادة " أي الثابتة التي لا تتغير و لا تدهش القارئ و لا تفاجئه ، بأنها لا تتفاعل مع محيطها وليس لها هدف ولا قضية تدافع عنها ، فهو ما يندرج عنه كل الشخصيات المحورية في الحلقة الثالثة حلقة التسعينات مثل : صفات زبيد من البداية وتظل تتكرر في أجزاء الرواية بالحوار تارة والسرود التقريرية تارة أخرى ، فلا يقربه

هذا من القارئ ، ولا يجده مجادلا ولا مغامرا ، فهو ليس بطيلا لأي معنى يفقد حركته وحيوته فينسحب هذا على كل أبطال مرحلة التسعينات و أبطال الحركة الأخيرة بدءا من الطوران و انتهاء بزبيد الشجري .

شخصية المرأة : ملامح وسمات :

قدمت الروايات نماذج متنوعة من الشخصيات النسائية ، فمن الفقيرات قدمت زنوبة في " بقايا صور " والأم في " المستنقع وفي " الولاة ومن الثريات قدمت أم الفتى في " الشمس في يوم غائم " و " راجعة في مأساة ديميتريو " و سلاف في " الرحيل عند الغروب " ومن المتعلمات سلاف في رواية أنفت الذكر ، وقدمت نماذج متنوعة أجنبية مثل : ماريا في " الشراع والعاصفة " و " بروشكا " في " الربيع والخريف " يتبين الدارس أن من الشخصيات النسائية من أضحت علامة متميزة إذا أثارت اهتمام النقاد فتناولوها بالبحث والدراسة مثل : شخصية شكيبية في " الياطر " و زنوبة في " بقايا صور " إلا أن في الروايات واحدة فقط منهن لم تحفظ البطولة .
ومن سمات هذه الأبطال أنها كانت تختفي من فصل أو أكثر من فصول الرواية قد تعود وتظهر ، قد تختفي ولا تعود ، تبدو شخصية المرأة هنا ممثلة للطبقة الاجتماعية ، التي تنتمي إليها .

ثالثا: صور المرأة ما بين الثبات والنمو :

قدمت روايات حنا مينه صورا متنوعة ، فأظهرتها نامية مثل : نجوى في " الشراع والعاصفة " شكيبية في " الياطر " كما ظهرت كذلك المرأة الثابتة مثل " ربيحة ورويشد " في " المرأة ذات الثوب الأسود " والمرأة الإقطاعية في رواية " الشمس في يوم غائم " فنجوى تجسد رؤية المرأة الخاطئة الضحية لظروف اقتصادية واجتماعية ، وحينما تتغير بما هذه الأخيرة تستعيد إنسانيتها أما شخصية شكيبية فكانت من أكثر الشخصيات ثراء من حيث البعد النفسي المكشوف ، فقد مثلت القيم العليا من حياء وحب ووقوف إلى جانب زكريا أما شخصية ربيحة ورويشد كانت ربيحة غريبة الأطوار تعاني ضروبا من الشذوذ ، وغريبة أما شخصية السيدة الإقطاعية فقد كانت أبعادها وصفاتها قد أسهمت في تقديم موقف من المرأة في ظل نظام اجتماعي و اقتصادي يفقد للعدالة .

رابعا : المناضل مثقفا وعمالا . سمات وملامح عامة :

يبدو أن معظم روايات حنا مينه تركز على قضايا الصراع الاجتماعي والوطني ، حيث أقيم هذا على شخصيات مناضلة كثيرة ويلاحظ أن اهتمام الكاتب قد جعل صورة المناضل تتجلى في مظهرين : مظهر المناضل العامل مثقف مثل : كامل في " الشراع والعاصفة " وفياض في " الشمس في يوم غائم " أستاذ ماهر في " نهاية رجل شجاع " وصلحي شكوري في " الرحيل عند الغروب " أما المناضل العامل وعبد القادر في " المصايح الزرق " و خليل في " الثلج يأتي من النافذة " والخياط في " الشمس في يوم غائم " .

غالبا ما يكون هذا المناضل موحها للبطل ومثقفا له مثل : عبد القادر في " المصايح الزرق " وكان دور المثقف هو نشر الوعي بين العمال .

كما بدا المثقف مهزوما مدعيا أنانيا لا غرض له سوى إشباع غرائزه ، وصورت رواية كاملة يعمل بهدوء وثقة تفاؤل بعيدا عن الانفعال ، واهبا حكمته وذكاؤه لشعبه ، ولم ينصب هم الروايات على تقديم ملامح جسدية لمناضلين إذ كان همها تصوير الأبعاد النفسية والإيديولوجية ، تصوير حركاتهم وأفعالهم ومن أهم سماتهم النفسية التحدي ، الميل للمجاهمة ، الشجاعة ، الإيثار ، أما الاتجاه الفكري الذي انتهى إليه هؤلاء المناضلون هو اتجاه العمل من أجل العدالة إلا شخصية الأستاذ صحي في " ولاعة " الذي كان مغايرا يسعى دؤوبا لمحاربة أفكار اللاونديوس .

خامسا : الشخصيات الثرية والأجنبية . سمات وملامح عامة :

تظهر الروايات حساسية خاصة اتجاه الشخصيات المحلية الثرية ، بل أثرياء يحتلون حيزا ضئيلا فلقد رسمتهم من الخارج أظهرتهم في الشخصيات الثابتة المسطحة وهي رؤية تؤمن بأن هؤلاء يقفزون ضد الحركة وضد التغيير ، فهم قائمون على مبدأ الاستغلال كما ظهرت كذلك إلى جانب هذه الشخصيات الثرية شخصيات أجنبية فرنسية ثابتة ، بغيضة ، مستغلة للناس ، دائما تتصادف مع أثرياء مثل : والد الفتى في " الشمس في يوم غائم " يصادق المستشار الفرنسي ومن الشخصيات الأجنبية شخصية زخريادس في " الباطر " وشخصية قبطان السفينة " كاسل " .

سادسا : الشخصيات الثانوية والمتعددة سمات وملامح عامة:

يزخر عالم حنا مينه الروائي بالشخصيات الثانوية ، و انسجاما مع رؤيته فهي على الأغلب تنتمي إلى إحياء المدينة الفقيرة أو الريف ، تدور أحداثها في الأحياء الشعبية والفقيرة كما تلعب هذه

الشخصيات دوراً أساسياً في تجسيد مبدأ الإيهام بالواقعية مثل : أحمد من رواية " الشراع والعاصفة " وشخصية روكز في " الثلج يأتي من النافذة " جيفرسون من حدث في " بتاخو " .

سابعا : تمايزات وقضايا عامة :

يستوقف دارس شخصيات حنا مينه جملة أمور تتعلق بالكيفية التي ظهرت عليها الشخصيات ، مثل وجود الأسماء وغيابها ، حيث أن معظمها وردت تحت أسماء مكونة من كلمة أو اثنين أو ثلاثة مثل : فارس ميخائيل ومريم السودا ، ومكسور المبيض ، والكرم المجاهدي ، وفاطر هاني اللجواي ، قد نلاحظ أن هذه الأسماء قد تدل على الصفة التي تفتقدها الشخصية مثل : سعيد حزوم الذي أفقد طعم السعادة في حياته ، أو قد تدل على ملمح جسدي مثل : مريم السودا أو على مهنة مثل : مكسور البيض أو قد يدل على سمة في الشخصية مثل : كرم المجاهد من الكرم والجهاد . كما هناك تشابه في شخصيات الروايات مع شخصيات القصص القصيرة مثل : ديميتريو في قصة لهذا العنوان نفسه ، وقد يكون هذا التشابه عائداً إلى أن القصة تعتبر النواة التي بني الروائي روايته عليها .

في تحليل وقضايا الرواية

التحليل النبوي التكويني للرواية :

أولاً : تحليل نص الرواية :

يسرد لنا وقائع هذه الرواية طفل سطر لنا تاريخ عائلته المأساوي بكل فصول الألم والشقاء والجوع ، نعم عاش وسط عائلة مكونة من ثلاث أخوات بائسات صغيرات وأخرى رابعة كان غير مرغوب فيها ، عاشوا في ظل أبوين أم حنون ثانية وأب ماجن يجري وراء نزواته ، كانت العائلة تنتقل من مدينة إلى أخرى بحثاً عن الحياة الملائمة ولكن للأسف كان القدر دوماً معاكساً ، فكان الأب دائماً متزعم الرحيل للبحث عن الرزق لهم لكن الفشل هو حليفه أبداً ، يرهن ابنته عند المختار للحصول على مقابل هو الزاد ، تعيش العائلة الفقر والمرض وظنك العيش هكذا هي الحياة معهم ، أم تداوي وتؤلم وتكد لبقاء أسرتها على شفة الحياة ، وأب يسكر ويلوذ في أحضان النساء وأخيراً تنتهي الرواية ، بالانتقال إلى مدينة أخرى ، فيا ترى ستكون أفضل من السويدية والإسكندرونة !!!³⁴¹

ثانياً : التحليل :

³⁴¹ حنا مينه ، بقايا صور ، دار الأدب للنشر والتوزيع ، ساقية الجنزير ، بناية بينهم ، ص.ب 4123-11 الطبعة الأولى

يمكننا بع قراءة رواية " بقايا صور " أن نرصد مجموعة من الأفعال تتوالى وتنظم لسياقها في الرواية على النحو التالي :

-1

- الخروج بالأب المريض .
- ذكرى تاريخ ولادته .
- ذهاب الأب إلى المختار.
- ذكر حادثة وفاة الخال .
- عودة العائلة إلى سورية (اللاذقية) .

-2

- ظهور الأرملة في حياة الوالد .
- مشروع التجارة ما بين الوالد وكرياكو .
- فشل الوالد مع كرياكو .³⁴²

-3

- انتقال العائلة من اللاذقية إلى السويدية
- عمل العائلة في الحقل
- وقوع الحادث المروع (هجوم على البيت في الحقل) .

-4

- غيبة الأب في شتاء قاس .
- ذهاب الأم إلى المختار لتسديد بعض الأغراض .
- عودة الأم الخائبة من عند المختار .

-5

- شتم المختار للوالد الغائب .
- دخول فصل الربيع ((السعود)) .

-6

³⁴² حنا مينه ، بقايا صور ، دار الأدب للنشر والتوزيع ساقية الجنزير ، بناية بيهم ، ص.ب 4123-11 الطبعة الأولى

بيروت لبنان (81-95)

بمخ العيد ، تقنيات السرد الروائي ، في ضوء المنهج البنوي ، مكتبة الأسد ، دمشق ، للنشر بيروت الطبعة الأولى

- رفض المختار إعطاء الرغيف للعائلة .
 - إرادة المختار الأخت خادمة ورهينة .
- 7

- حل ((سعد السعود)) .

- عودة الوالد ميئوسا .
 - طلب المختار للوالد .
 - دخول موسم دود القز
- 8

- شرنقة الدود .
 - دخول دودة الحرير وتفسيدها للموسم .
- 9

- مساعدة الأرملة للأم .

-10

- حل الجوع بالعائلة .

-11

- رحيل الوالد إلى أنطاكية

-12

- رحيل العائلة إلى مدينة إسكندرونة .

-13

- بداية عمل الأم عند السيد خريستيو .
 - عودة الأم خاتبة من عند السيد .
- 14

- وصف حالة العائلة في الريف الفقير .
 - ظهور مرض الملاريا والرمد على الإخوة .
- 15

- مرض الأم وعجزها .

-16

- تحسن صحة الوالدة .

- ظهور المرأة زنوبة في حياة الوالد .

-17

- وصف هيئة زنوبة السكرية .

-18

- ذكر علاقة زنوبة بالعائلة .

-19

- خبر حمل الوالدة

- اكتشاف عماء الأخت الصغيرة .

- موجة الجراد في القرية .

-20

- حادثة زنوبة والسرجان (اغتصاب) .

-21

- رحيل السرجان

- موت الجارة العجوز .

- سرقة مستودع العجوز من طرف اللصوص .

- معاقبة الدرك أهل القرية على السرقة

- الضحية زنوبة من طرف الدرك (موتها) .

ثالثا : الشخصيات :

احتوت الرواية على العديد من الشخصيات الذين تعرفنا على تكوينهم النفسي الذي تجلى في عمق الأحداث كما تطرق إلى تكوينهم الجسمي وهياتهم الظاهرية التي تجلت بالوصف .

شخصيات أساسية :

الطفل : محاميد ، بريء ، محبا للطبيعة والاستكشاف ، عطوف وحنون ، هزيل ضعيف البنية .

الأم : امرأة رقيقة وطيبة ، مضحية ، دمثة الأخلاق ، ضعيفة ، ذليلة ، لديها عزيمة مكنتها من الصمود أمام قسوة الحياة ، قاومت المرض لأجل صغارها ، هي قصيرة القامة ، وجهها حنطي مستدير وملاحظها دقيقة .

الأب : ماجن ، شهواني ، فاشل ، أسمر البشرة ، جذاب تتفتن به النساء .

شخصيات ثانوية :

الأخوات : مسلمات ، بائسات ، حرمن من براءة الطفولة .

الأرملة و زنوبة : لديهما شخصيات متقاربة فكلتيهما بذيتتان ، وسيئتا السمعة والأخلاق .

المختار والسرجان والملاكين : امتازوا بالغلاظة والجور والظلم والسلب والنهب والاستغلالية.

ترياكو : جبان رافق الأب في إحدى تجاراته الفاشلة

الفلاحين والجيران : الطيبة والفقير ، الحرمان .³⁴³

خال الأم : شجاع ومقدام وله هيبة وهو كبير في السن .

أخ الأم وأختها : لم يذكر مفصلا فالأخ متوفي وكانت الأم تتمنى أن يكون ابنها بشهامته والأخت

انقطعت أخبارها بسفرها لبلاد اليونان .³⁴⁴

رابعا : الحوافر ورصد العلاقات ما بين الشخصيات

تبدو لنا شخصية الأم محورية إذ بها كما نوضح ، ينسج السرد معظم العلاقات في هذه القصة.

- الأم تحب الوالد :

إننا ننظر إلى هذا الحافر في كونه حافرا إيجابيا نشطا يجد مقابله حافر سكونيا عند الأب

- الأب يحب زنوبة :

يتضح أنه حافر سلبا وهو حافر الرغبة في شكله الأبرز .

- الراوي (الطفل) يحب زنوبة :

حافر إيجابي بالنظر إلى العلاقة التي كانت بينهما تعتبر بمثابة الأم له .

- الأم تحب زنوبة :

حافر إيجابي بالنظر إلى العلاقة التي كانت بينهما بمثابة الأخت .

- الأم تكره المختار :

وهو حافر سلبي نشط طبعاً وهو حافر الكراهية الذاهب من الأم إلى المختار .

- الوالد يكره المختار :

حافر سلبي نشط وذلك لسوء معاملة المختار له .

³⁴³ حنا مينه بقايا صور بقايا صور الطبعة الأولى دار الأدب بيروت (333 ، 340) ، (341 ، 385)

³⁴⁴ حنا مينه ، بقايا صور بقايا صور الطبعة الأولى دار الأدب بيروت

- الأم تكره خريستيو وزوجته :
حافز سلمي نشط وذلك لسوء المعاملة له
- المختار يكره السرجان :
حافز سلمي نشط³⁴⁵

ب- لوحة العوامل :

يصل بنا هذا الرصد للعلاقات بين الشخصيات ، بالشكل الذي قدمناه ، إلى تحديد العوامل الستة التي تمسك بهيكل بنية القصة ، نرسم لوحة العوامل لرواية بقايا صور

المرسل إليه	الفاعل	المرسل
المجتمع والناس	بقايا صور	الظروف الاجتماعية
(الوعي)	(ذكريات)	التي عاشها الطفل
المعيق	الموضوع	المساعد
المختار ، خريستيو ، الأب	العدالة الاجتماعية	الأم ، الخال
الاحتلال الفرنسي ³⁴⁶	الإقطاعيين ،	الحرية

خامسا : مقولة زمن القص :

- 1- الترتيب على مستوى الوقائع : لقد سبق الإشارة إليها
 - 2- المدة : في دراستنا لهذه العلاقة يقص حادثة وقعت منذ ثلاثة أعوام مضت. ما بين الصفحة 256 والصفحة 294.
 - 3- القفز: ويظهر ذلك في قوله: " بعد شهر اكتشفت الأم أن أختنا الصغيرة عمياء ... "
 - 4- الاستراحة : أص = أق ، تظهر الاستراحة في قوله " ... استيقظت ليلا في عراق وسط المدينة ... " يخبر بعبارة واحدة إلى ما يعادل فعل واحد .
- م ص = مق ، تظهر في قوله " ... بل من الجدران ... طاف بالجدران ... الجدران ... " تتكرر لفظة الجدران ، أي أن الراوي يكرر على مستوى القول ما جرى على مستوى الواقع .

³⁴⁵ حنا مينه ، بقايا صور بقايا صور الطبعة الأولى دار الأدب بيروت

بمخى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل

³⁴⁶ حنا مينه ، بقايا صور بقايا صور الطبعة الأولى دار الأدب بيروت

5- الإيجاز : ويظهر ذلك من خلال قوله " ... قيص لي بعد أيام أن أرى زنوبة في زيارة الأولى ... " .

سادسا : مقولة هيئة القص :

- الراوي وعلاقته بما يرويّه : الراوي بضمير (أنا) والضمير الغائب هنا في رواية بقايا صور البطل يروي سيرته الحياتية لكن هذا الراوي ³⁴⁷

ليس مع مسافة الزمن ، هو تماما البطل : ذلك أن الراوي هو من يتكلم في زمن حاضر عن بطل كأنه هو الراوي وقد وقعت أفعاله في زمن مضى حيث تنهض هذه المسافة الزمنية بين مكان وما غداه البطل ، وهي مسافة تنهض عليها الذاكرة .³⁴⁸

سابعا : مقولة نمط القص

1- نمط أسلوبى يتصف بالمباشر: الراوي هنا يترك ، وفي سياق بصوته ، الكلام للشخصية أو لصوتها إن الراوي هو شخصية تروي بضمير أـ أنا بل بمعنى أن الراوي الذي روي بصوته عن هذه الشخصية ، التي تتكلم بنفسها عن نفسها ، مثل : تذهبين أنت أيضا وتأخذيني معك

بكيت وهي تضميني

لا تقل هذا مرة أخرى لا أريدك أن تذهب أنت .

يروي الراوي هنا بصيغة الفعل الماضي بكت ، وفي هذا السياق يأتي نطق الأم بشكل كلاما يقع في زمن الحاضر .

اختلاف الأصوات واختلاف المواقع :

إن النظر إلى العمل السردي الراوي على حد التفاوت في العلاقة بين الراوي وبقية العناصر ، ويظهر ذلك من خلال تنوع الأصوات ما بين صوت الراوي والأم أحيانا وأصوات بعض الشخصيات وتعدد كذلك المواقع .

³⁴⁷ بحى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل

نفس المصدر السابق ، حنا مينه

نفس المرجع السابق ، بحى العيد تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت

كنموذج للتحليل

سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، الطبعة الثالثة - دار النشر بيروت بلبنان ، ص-ب 4006 - دار البيضاء ، المغرب

³⁴⁸ حنا مينه ، بقايا صور بقايا صور الطبعة الأولى دار الأدب بيروت

بحى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل

ثامنا :

البنية الخارجية : يسم الطابع الأرابيسكي البنية الخارجي للرواية .

قسمت على 22 باب وعدد صفحاتها 360 صفحة ، لها كتابان مكملان والواجهة مزينة بأثواب جميلة ، صور امرأة وفراش وطفل تتلون ما بين الأخضر والبني يعلوها عنوان الرواية بقايا صور باللون بني فاتح واسمه حنا مينه باللون الأزرق واللون الأبيض طبعاً كل هذه الألوان لها دلالات مثل اللون الأزرق دلالة على حب حنة مينه للبحر . مكتوب على ظاهرها رواية تشكلها سحب ألوان مختلفة . في الغلاف الخلفي للرواية نجد ذكر المؤلفات حنا مينه ، وذكر مصمم الغلاف نجاح طاهر المرسوم عليه يبدو زهرتان باللون البني ، مكتوب عليه دار الآداب ، دار النشر بيروت .³⁴⁹

والقصة المروية لم تكتمل في الطبعة الأولى ، فكان المكملان لها كتابي المستنقع والمقتطف ، ولقد كانت الأبواب مفصلة كالاتي :

أولا : الباب الكبير تحت عنوان ((الراوي حنا مينه)) تحت عنوان إلى مريان ميخائيل زكور ، أمي حنا ، والأبواب الأخرى كانت كلها عبارة عن أرقام ابتداء الباب الثاني من الرقم اثنان وصولاً إلى الرقم الثاني والعشرون .³⁵⁰

- البنية الداخلية :

يخصص حنا مينه مقدمته على الحديث على الإهداء الذي قدمه صديقه سعيد حوارنية في كتابه " شتاء قاس آخر " ذكراً فيه مفهوم الضعف البشري والقوة الإنسانية عند حنا مينه ، كما أوجز إلى بعض رواياته ، والبقية كلها كانت عبارة عن أحداث رواية بقايا صور .

تاسعا : المتفاعلات النصية :

- 1- تاريخية : في الرواية نجد التداخل مع الواقع حاضر زمانياً يتجلى في الأحداث الواقعية المسجلة مثل : ما ذكر في الرواية عن الحملة العسكرية الفرنسية التي أتت إلى سورية (حرب)
- 2- دينية : يتداخل متفاعل النص الديني في الرواية وذلك من خلال إشارات إلى أسماء دينية مثل : إبراهيم وذكر أهل الكهف

³⁴⁹ سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، الطبعة الثالثة كنموذج للتحليل

نفس المرجع ، بمحى العيد

³⁵⁰ حنا مينه ، بقايا صور ، الطبعة الأولى ، دار الآداب بيروت

بمحي العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل

نفس المصدر حنا مينه ، بقايا صور

3- النص اللاحق : ويكمن في العلاقة التي تجمع نص الرواية " بقايا صور " أ " وكنص سابق لرواية المستنقع " ب " وهذه كنص سابق لرواية المقتطف " ج " وهي علاقة تحويل المحاكاة.³⁵¹

عاشرا: تحليل الشخصيات :

إن الشخصيات المعالجة في رواية بقايا صور مستقاة من واقع اجتماعي ، من خلال أفعالها وأقوالها وأنماط تفكيرها ، فالشخصيات كانت تحمل صور لغوية وتعبيرات عن عالم اجتماعي متكامل ، وهذه الصور المفكر فيها الكاتب الذي بناها وقدمها بمزيد من العناية والاكتمال ، فالكاتب ينتجها ويبنيها بناء على تفاعله مع واقعه التجريبي ، يرمي من وراء ذلك إلى تقديم رؤية للعالم الذي نعيش فيه من خلال خلق هذا العالم كما يتصوره أو يتخيله كما يراه وفق موقفه منه ، وهذه الشخصيات كانت في الرواية تعيش قلقا دائما وتوجسا لا يبي ويتعقد ويتطور هذا سواء في علاقتها مع محيطها أو مع ذاتها .³⁵²

في المنحى الذي له طابع السيرة :

إذا كانت معظم الروايات هي سيرة ذاتية مموهة فإن رواية حنا مينه (بقايا صور) ليست سيرة ذاتية مموهة كما هي في معظم الروايات ، بل هي رواية مموهة لسيرة ذاتية فعلية ، أي واقعية حقيقية . سيرة ذاتية تصدر عن ذاكرة متروكة لمخزونها ، شأن السير التي تتحكم في سردها الذاكرة التي تحكيها ، ومخزون الذاكرة فهذا يعني أن بقايا صور هي السيرة الذاتية نفسها أو هذا الواقع نفسه
353 .

الراوي عنصر مهيمن والحركة حركة تفاوت :

إن الراوي ((الطفل)) في العمل السردى بقايا صور وإن كانت عنصرا من عناصره ، فهو من حيث هو راوي ، عنصر لا يمكن وضعه على مستوى التعادل الوظيفي مع بقية العناصر المكونة لهذا

³⁵¹ سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، الطبعة الثالثة كنموذج للتحليل

نفس المرجع السابق ، ص 97 كنموذج تحليل

³⁵² حنا مينه ، بقايا صور ، الطبعة الأولى ، دار الآداب بيروت

سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي

³⁵³ يحيى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل (132)

العمل ، فالراوي ، كما نعلم صوت يخبئ خلفه الكاتب لذا فهو في علاقته بما يرويّه عنصر مميز
354

فهو يمارس لعبة لكي يقيم منطق البنية ، من حيث أن هذا المنطق هو ، في الوقت نفسه ، منطق القول ، ولكن الراوي يبقى كعنصر مهيم لا يلغي بقية العناصر الأخرى ، أي كفاعلية أساسية متميزة ، حيث تتحدد حركة العلاقات بين عناصر العمل القصصي (أو السردى الروائي) كحركة تفاوت في الفارق بين عنصر الراوي لبقية العناصر ، وبين علاقة العناصر فيما بينها ، وبين علاقيتين لكل منهما حركتها³⁵⁵

الحادي عشر : المرجع المزدوج الشفهي والكتابي :

إن في منحى رواية بقايا صور لحنا مينه يتقدم الراوي ككاتب ويشير إلى أنه في صدد كتابة رواية ، ثم سرعان ما نكتشف أنها سيرة ، فبذلك نشعر أننا أمام كتابة تولد مرجعيتها لتعود فتلتف عليه موهمة بأنها هي المرجعية نفسها ، وهو ما يجعل هذه الكتابة تنتج نمطا سرديا جديدا ، فهو إبداع المستوى مرجعي مزدوج ، يستبدل أحدهما الوقائع ويتسق الآخر معه ، فهذه الرواية تضم ضمن السيرة المكتوبة³⁵⁶

الموقف النقدي والتوظيف :

لا شك أن فتح نوافذ السرد على مثل هذه المشاهد أو الوقائع ، أن يكون مطابقا في سوريا أيام الاحتلال يشكل موقفا نقديا جزئيا.³⁵⁷

كسر الزمن في الرواية :

يتضح كسر الزمن في عملية بارعة عند حنا مينه ، فلقد تفتتح الرواية على مشهد آب ينقل على حمل والطفل يرى إليه وهم يخرجون به ، هنا كانوا في اللاذقية لكنه لا يذكر منها إلا بقايا صورها ، تتبدى الانتقادات الموفقة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل كما عند ديستوفيسكي

³⁵⁴ بحى العيد ص (117 ، 118)

³⁵⁵ بحى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى - دار النشر بيروت كنموذج للتحليل ص (

(118 ، 117)

³⁵⁶ نفس المرجع كنموذج للتحليل ص (142 ، 147)

³⁵⁷ نفس المرجع كنموذج للتحليل ص (142 ، 143)

وفولكرت يعود بنا الطفل وهو يرحل مع أسرته إلى بلدة السويدية ليقص علينا ظروف مرض الوالد والمجرة وما لاقته الأسرة من شقاء وخوف³⁵⁸

الحس الأسطوري وفلسفة القناع السردى :

1- الحس الأسطوري : لقد اتخذ حنا مينه عن طريقة الرمز منحى شعري مفرط في شاعريته ، ففي بلدة السويدية تصطنع عوامل الطبيعة تتكون جوقة إرهاب تعرف لحن الشعر في آذان أفراد الأسرة وحتى المطر يغدو وحلا ، وإن ظل في الحلم معنى التطهير يتجسد في لحن الطوفان الذي يعرف الشر ، وتأتي الظلمة والوحشة والريح والحقل المقفر والأشجار الجرداء ، لتشكل أشباحا مرعبة في الشتاء ثم في الربيع الخضرة والنماء فهذا العالم من المناقضات يجعل من الصدق الشعري يتداول مع الواقع وحلم الإنسان والطبيعة ، والحس الأسطوري يظهر ملمسه من خلال توظيف حنا مينه لعنصر الخيال ، فلقد لعب مزاجا في هذه الرواية³⁵⁹ والشاهد على ذلك قوله في و اختبأت وراء الفرش مكدسة في الزاوية راجيا ، في كل لحظة أن تنط الأرفة ، وتتحول إلى خيول على ظهورها فرسان لأركض وراءها .³⁶⁰

2- فلسفة القناع السردى : ولقد استعمل كذلك الصورة الرمزية أثناء سرده للرواية الحكائية من خلال عيون ذلك الطفل ، فرواية حنا مينه جسدها ضمن سيرة الحياة العائلية ، حيث وقف حنا مينه على طفولته القروية قبل مرحلة الوعي ، وضمن إطار التشرد الأسرى بحيث يظهر الراوي الطفل وهو يلتقط بعين بعيدة وقائع علقته في ذاكرته ويث وصفها ، ويصبح حنا مينه بذلك كاشفا إليه سيرته الذاتية إذ هنا الراوي هو الشخصية الأساسية ومؤلف القناع السردى ، يغزو ذلك التشرد والضياع والتخبط على العجز ، والبطل هنا مهمته الأساسية كانت خلفية وهي الاحتجاج على الواقع ، ولقد اعترف في رواية " المستنقع " قائلا لقد كبر ذلك الطفل الذي هو أنا .³⁶¹

تحليل الأسلوب الروائي :

1- اللغة :

³⁵⁸ حنا مينه بقايا صور كنموذج للتحليل ص 38

³⁵⁹ حنا مينه ، بقايا صور ، الطبعة الأولى ، دار الآداب بيروت ، ص 48

³⁶⁰ المصدر نفسه ، ص 38

³⁶¹ المصدر نفسه ، ص 72

نعم في رواية " بقايا صور " بالغة الشاعرية المعبرة بصدقها وشفافيتها ومعدنها الكريم ، فهي تنسج ببساطة ونظارة الثوب بقع الضوء و الظل على اللوحات ، وتزرع الحياة في الشخصوس وتبني العمارة بناينا مرصوا يشد بعضه البعض .³⁶²

كما تنوعت لغته ما بين القصصي والعامية في قوله " قرعة ، مزلاج "

2- التكرار :

إن من خصائص السردية التي تساهم في صنع الأعمال السردية ، التكرار الذي يمكن اعتباره صنف من ظروف الوصف وهو ملمح أسلوبى دلالي فعال يظهر لنا طبيعة الموضوع الذي يعالج المعاني بعينة و أفكار التوظيف وتقنيا في مواقف سردية معينة .³⁶³

ويظهر هذا اللون السردى في بعض المواقع مثل قوله " المرأة الصالحة أنقذتني ، الأرملة التي قالوا أنها خاطئة أنقذتني " ولعل الغرض منه تصحيح صورة المرأة الأرملة التي ساؤوا الظن بها .³⁶⁴

3- الوصف والمبالغات :

فالوصف ما هو إلا تجسيد مشهد من العالم الخارجى في لوحته موضحة من الكلمات فنستطيع أن نقول أن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة أكثر من واقع موضوعى .

ففي رواية " بقايا صور " جاء الوصف لحد الفوتوغرافى لأن حنا مينه كان يستلهم من الواقع الإنسانى ، والوجود المحيط به كالرواية الواقعية تجسد فيها الوصف الدقيق ، حتى أنه جاء دون مبالغات فوصف الشخصية جسميا ونفسيا ، حيث نبده يصف أمه يقول " ذبلت الأم ، نخلت ، اصفرت ، تتأعظم الوجنتين والعنق ضمير .

تمدت هيكلا بشريا كاملا ، كغصن يابس ملقى في طرف الحقل ، لم تعد تتكلم صمتت كان صمتها احتجاجى ، كان لوعة ، كان أسفا لا ندركه .³⁶⁵

فنجده قد ألم بالوصف فكان بمثابة وسيلة لتقريب الصور حتى يكمل التفاعل معه .

4- السرد :

³⁶² حنا مينه ، بقايا صور ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1975 ص 249

³⁶³ عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر الطبعة الأولى 1995 ص 268

³⁶⁴ المصدر نفسه ، ص 235

³⁶⁵ حنا مينه ، بقايا صور ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1975 ، ص 243

لعل من الخصائص التي تميز الرواية هذا الأسلوب الذي يساهم في رواية الحكاية بشكل يستحق أن يوصف بالأدبية ، فالسارد في " بقايا صور " هو سارد داخلي حيث يندس في ثنايا شخصياته ، كما أن الشك التواصلية المميز في الرواية جاء بضمير المتكلم حيث يقول " فقد كبر الطفل الذي هو أنا " بحيث ينطبق هذا النوع من الحاضر إلى الماضي يدعوا الشر مثل قوله " لا أدري كيف أغنيت من تلك الليلة من المؤكد أن نومي كان قلقا ، وحين أيقظتني أمي في الصباح الباكر وثبت من الفراش وهرعت لأغسل وجهي و أرتمي ثيابي " .³⁶⁶

5- الحوار :

هو اللغة المعترضة التي تقع بين المناجاة واللغة السردية ، ويجري الحوارين شخصية وشخصية أو بين شخصية وشخصيات .

وقد تنوع الحوار فهناك الخارجي هو الحديث الذي يدور بين شخصية وأخرى ومثال عن ذلك حوار الطفل في " بقايا صور " مع أمه على أبيه

- لماذا تأخر هذه المرة

- انقطع بسبب المطر ... حين يصحو الطقس يعود

- وإذا لم يصحو ؟

- لا بد أن يصحو ... هذه لزمة

أما عن الحوار الداخلي كما يعرفه دوما ردين بأنه وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية بدون أي تدخل من جانب الكاتب عن الشرح والتعليق .

بأنه التعبير عن أخصب الأفكار التي تمكن في أقرب موضع اللاشعور

ولقد نجد حنا مينه استفاد من تيار الوعي الذي يمكنه من رصد أدق المشاعر ويساهم في إبراز خصائص النفس البشرية أو الإنسانية ، ومثال عن ذلك في قوله " أقول في نفسي " لو استطعت

قراءة ما فيها لقرأت كل هذه الأوراق "

و أعود إلى البيت وفي النفس سؤال " ماذا في كل هذه الأوراق ؟³⁶⁷

أهم القضايا التي عاجلها حنا مينه ومناقشتها :

إذا كنا نتحدث عن مجال الأدب فإنه عاجل قضايا من بينها :

³⁶⁶ المصدر نفسه ، ص 301

³⁶⁷ حنا مينه ، بقايا صور ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1975 ، ص 224

قضية الإبداع الأدبي :

يبدو أن حنا مينه قد انشغل بمفهوم الكتابة ودلالات الإبداع الأدبي كانشغاله بوظيفة الأدب فما هي الكتابة؟ ولماذا نكتب؟ وكيف؟

لقد كان اقتراح سيدة للإقامة في قصرها على الشاطئ لتفرغ للكتابة موضوعا للتأمل العميق في طبيعة ذاتها.³⁶⁸ والنتيجة التي خرج بها رفضه للاحتراف الأدبي، ذلك لأن الإبداع الأدبي حب قبل كل شيء، فهو يعتقد أن الكتابة هي فعل موهبة ووعي، يمكن أن تصحبه حالة نفسية متوترة فالإبداع لا ينبع من حالة فطرية كاملة أو الوحي لا يعني شيئا غير التجربة التي تصبح واقعا جماليا، وهكذا يحدد العناصر الثلاثة التي تنشئ الإبداع الأدبي.

التجربة والجهد والموهبة، فالتجربة أن يعيش الإنسان الحياة، فهي وحدها تعطي القفص وكل أسباب الإبداع، الجهد يعني التأمل والمعرفة فالتأمل هو في النهاية صياغة الأشياء من الداخل وذلك بالملائمة بين تجربة القراءة وتجربة الحياة والمعرفة لا تقف عند حدود ثقافة الكتاب، بل تستوجب فهما للتناقضات التاريخية والاجتماعية.

القضية الاجتماعية :

أما عن القضايا الاجتماعية فنجد قضية المرأة: فهي من القضايا الاجتماعية الأساسية التي تعكس فكر حنا مينه الاجتماعي، فقد كان يحترمها كثيرا ووصف حضورها في مجلة الشراع مشيرا إلى المكانة التي تحتلها، فاعتبرها نصيرا أكيدا لقضيتها، وإنه يعتقد أن التحرر الاقتصادي للمرأة لم يحسن قضيتها الاجتماعية حسما نهائيا، وهو يقترح أنهما ستظل قضيتها في نهاية الأمر قضية التقدم، حيث إذا كان الرجال في كل الطبقات الاجتماعية على الدوام من أنصار المرأة والمدافعين عن قضيتها العادلة.³⁶⁹

الصراع الطبقي :

عالج حنا مينه القضية الاجتماعية التي جعلت من الطبقات البورجوازية والإقطاعية تستغل الطبقة الفقيرة وظهر هذا المثال كثيرا في رواياته وخاصة في ثلاثيته فكان مساندا في رؤيته إيديولوجيا، فكان دائم الدفاع عليه، حيث يرى أن المستقبل في أيديهم، فحنا مينه تحركه في الأغلب مشاعر إنسانية عميقة لا تحذو يؤكد دور الطبقة العاملة في تاريخ سورية الحديثة، وللخروج من هذا

³⁶⁸ محمد الباردي، حنا مينه، روائي الكفاح والفرح، دار الآداب للنشر، الطبعة الأولى، 1993، ص 193

المرجع نفسه ص، 194

³⁶⁹ محمد الباردي، حنا مينه، روائي الكفاح والفرح، دار الآداب للنشر، الطبعة الأولى، 1993، ص 255

الصراع توجه إلى النظام الاشتراكي الواقعي ، وعالجه بتفاصيل تملئ وتساعده الجمهور الفقير للخروج من هذه القوقعة ، لأنها تحمل في معانيها الكثير من الذل والاستغلال.³⁷⁰

قضية الخيانة والجنس :

لقد عالج حنا مينه هاتان القضيتان عن طريق تعرية الواقع وفضح الجوانب الظلمة و إدانة فواه الغاشمة في هجمتها الشرسة ، لتحطيم البناء الداخلي السامي للإنسان فحنا مينه يحمل الرسالة بموهبة الفنان والصدق المبشر الأصيل بالفضائل الجديدة فنجد شكيبية في " الياطر " تمارس الخيانة الزوجية استجابة لصدق الحب ، وترفض بأنفة الكبرياء المساومة على جسدها إلا بعلاقة إنسانية متكافئة يكون فيها الحب هو المهر ، مبטلة بذلك كل المفاهيم الخاطئة في ذهن المرسلني عن الحب والجنس ، وزنوبة العاهرة بالاعتصاب ، تحرق ذاتها مستغلة معها كل القيم التي تتآمر على تدمير إنسانيتها ، لذا فهو يرد قواميس فضائل المجتمع الاستغلالي بفضائل جديدة ترد للمشاعر الإنسانية رؤاها ونقائها.³⁷¹

القضية السياسية :

أما عن القضايا السياسية التي عالجتها روايات حنا مينه :

الحضور الأجنبي :

الاستعمار : لقد عالج مسألة الحضور الأجنبي منذ روايته الأولى " المصايح الزرق " من خلال حديثه عن الانتداب الفرنسي ، فقد أنشأ هذا طبقة اجتماعية محظوظة سمحت للفرنسيين سلب ونهب الشعب ، فقد شغل كل بأمره وشغل الجميع بأمر واحد هو إخراج الفرنسيين.³⁷²

الحرب : إن الحرب من المعاني الهامة من روايات حنا مينه خاصة فترة الحرب العالمية الثانية ، وفترة الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1973 م وتحتلان مكانا متميزا ، حيث أشار في روايته إلى أن الحرب تضع حدا للحياة الشعبية السعيدة ، حيث تبدو الحرب في رواية " الشراع والعاصفة " سببا لتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما يقترح الانتماء إلى الوطن للوحدة العربية.³⁷³

السلطة : تحمل السلطة وطبيعة السياسية دلالة خاصة في أعمال حنا مينه الروائية إن الرأس هو سبب المصيبة ، هو المسؤول وإنه موقف أدبي يؤكد مكانة السلطة في تفكير حنا مينه ، فلقد تابع تطور النظام السياسي في سورية منذ الانتداب الفرنسي إلى بداية السبعينات ، حيث نجد في رواية " الثلج

³⁷⁰ المرجع نفسه ، ص 217

³⁷¹ محمد كامل الخطيب ، عالم حنا مينه الروائي ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى 1979 ، ص 101

³⁷² محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب للنشر ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 232

³⁷³ المرجع نفسه ، ص 233

يأتي من النافذة " يبين النظام البرلماني المعادل للحركة التقدمية فموقفه من الأنظمة السورية كان مختصرا في مقولة النظام السياسي ، (لعبة العرش والحكام) ويستخلص أنه أزمة المجتمع العربي ليست أزمة اجتماعية بل أزمة سلطة سياسية ، وهو يقترح التنظيم السياسي ، ففي رواية " المرفأ البعيد " يذكر حزب العمال والفلاحين الذي يناضل من أجل وطن حر وشعب سعيد.³⁷⁴

القومية والوحدة السياسية :

إن القضايا القومية والوحدة العربية تجدها في رواياته و إن قل أثرها فمثلا : في رواية " حكاية بحار " يتحدث عن انفصال لواء إسكندرون ويصف مشاعر السوريين ، كما يعتبر العروبة " الخروج عن السيطرة التركية " كما تطرح رواية " المرصد " مسألة القومية طرحا أوضح فالكاتب يربط بين الوحدة العربية والاستقلال السياسي ، ويرى أن الوحدة هي السبيل إلى الاستقلال وأن التحرر هو السبيل إلى الوحدة.³⁷⁵

التنظيم السياسي :

لا تبدو صور التنظيم السياسي واضحة في آثار حنا مينه ، فإذا كان الكاتب يستعمل أسلوبا مباشرا في تحليله السياسي للانتداب الفرنسي ، فهو مرات عديدة الكتلتين الوطنية والشعبية ، في روايته " الشراع والعاصفة " والثلاثية ، فالكتلة الشعبية في منظور حنا مينه ، تجمع إقطاعي بورجوازي ، عارض الكتلة الوطنية ثم تحول إلى حزب سياسي فيما بعد . فنجد الأستاذ كامل في " الشراع والعاصفة " من أنصار الإتحاد السوفيتي يؤمن بضرورة تنظيم العمال والفلاحين.³⁷⁶

الثورة : فهي حركة شعبية ترمي إلى تغيير اجتماعي ، فالناس يشتغلون في المملكة على الأرض ، ولا بد من وقف الظلم النازل بهم فقد عانقت الحركة الوطنية من جهة حنا مينه كل الشرائح الاجتماعية من أجل غاية واحدة ومشاركة هي تحقيق الاستقلال السياسي .³⁷⁷

الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه

يحتل حنا مينه مكانة في عالم الرواية السورية والعربية ، وقد نالت أعماله الإبداعية اهتماما كبيرا من طرف القراء والنقاد ، حيث عبر على حياة فئات من الناس في المجتمع السوري وطموحاتها في التخلص من الانتداب وبناء دولة مستقلة من التسلط ومن تلك القوى الطبقة «إقطاع ورأسمالية»

³⁷⁴ المرجع نفسه ، ص 237

³⁷⁵ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب للنشر ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 234

³⁷⁶ المرجع نفسه ، ص 239

³⁷⁷ المرجع نفسه ، ص 241

- وقد اتخذ النضال الذي خاضه الشعب السوري بكل قواه وفتاته بشكل خلفي للوعي السياسي والوطني ، وانحاز إلى جانب الجماهير الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي ، وجانب الفلاحين في صراعهم ضد الإقطاع ، وجانب الطبقة العاملة في صراعها ضد الرأسمالية³⁷⁸

فهو بالرغم من انتمائه الإيديولوجي للماركسية ظل فرديا في طريقة معالجة للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وعقدة التناقض الرئيسية في فكر حنا مينه فتمكن في المنافسة الممتدة بين طموحاته الثورية ، وبين طروحاته البرجوازية الصغيرة و نكر أن إيمانه في تغيير الواقع لا جدال فيه ، فهو متفائل بالمستقبل وواثق بأن الجماهير ستصنع تاريخها بنفسها.

لكن عن مدار ثلاثين سنة من إبداعه الأدبي بقيت عنده فجوة بين مستويين لم يتمكن منهما:

المستوى الأول: هو إيمانه بالتغيير وزوال التخلف والقضاء على الاستغلال الطبقي والاجتماعي .

المستوى الثاني: هو عدم استيعابه الكامل لقوانين هذا التغيير الثوري وكيفية حصوله وبهذا عجز على تحقيق نقلة نوعية في رؤيته الثورية ، واستحالة تحويل الحلم الثوري الرومانسي إلى وعي ثوري علمي .³⁷⁹

مما يعرف حنا مينه أنه كاتب ملتزم بقضايا الناس السياسية الاجتماعية والاقتصادية ووقف إلى جانب الفئات والطبقات المسحوقة في المجتمع ، فإيديولوجيا الكاتب كانت مشوبة بأفكار مثالية مستمدة من الواقع القائم ، أحيانا ، فرؤيته للأمر لم تكن مادية بل كانت هذه المادية تتعثر بالمثالية والدين والمزاح الفردي ، ولقد تحاشى حنا مينه المجاهرة المباشرة مع الواقع الحالي ، وأصبح حياديا تجاه الأزمات بينما تركز موقفه الثوري على مرحلة الانتداب .

إن ما نلمحه من رواية " بقايا صور " تناول الكاتب أحداثا وقعت في مرحلة ما بين الحربين ، العالمتين الأولى والثانية ، ولقد صنع حنا مينه " العبودية " فترة شبابه حينما كانت البلاد تحت عيئ الانتداب الفرنسي ، فهنا الرواية ذكرت الحملة الفرنسية ، والتي أتت معها بالحريير الاصطناعي ، إن حنا مينه ذاته قد شارك في عدة مظاهرات طالبت بخلاء الفرنسي عن البلاد وسجن بذلك أكثر من مرة .

³⁷⁸ مراد كاسوحة - الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه - الطبعة الأولى - 1991 - دار الذاكرة ، ص

ويبدو أن (ماركسية)، حنا مينه كانت قادرة على الفعل النضالي ضد الانتداب الأجنبي فقط في حين عجزت عن المساهمة في التحرك الاجتماعي والسياسي بعد التخلص من الاستعمار ، فحنا مينه لم يستطع استشفاف آفاق العصر الذي أعقب الاستقلال.³⁸⁰

لقد نظر حنا مينه إلى دور حركة التحرر الوطني العربية ، وكأنه تتويج كل نضالات الشعب ضد مضطهديه في الخارج والداخل ، كما أن روح المهادنة مع البورجوازية الصغيرة أخذت تطبع نتاجه الأدبي الحديث ومواقفه الفكرية ، فكانت لهجة انتقاده للواقع القائم تخف وتهدم .

انصب اهتمامه الأدبي والفكري على سنوات الثلاثينات والأربعينات، فكان التاريخ ينبض بحيوية في أعماله الأدبية، بينما أصبح أكثر ليونة تجاه الواقع الجديد منذ أواخر الستينات وظهرت ميوله الإصلاحية.³⁸¹

مع بداية الستينات أخذت موجة التحرر تشهد بداية الإنسحار الأسبق ، سقوط تجربة الوحدة المصرية ، هذا الكابوس المرعب أصاب الحركة ، غاب تماما عن إبداع حنا مينه ، ففي مؤلفاته الأخيرة " الربيع والخريف " و " مأساة ديميتريو " والجزء الأخير في حكاية البحار " المرفأ البعيد " يتناول جوهر المسائل الراهنة و إنما مس سطحها و أطرافها فقط انسجاما مع طروحاته البورجوازية الصغيرة التي حاول تغليفها بلبوس ماركسي .

- هكذا ابتعد حنا مينه عن القضايا الساخنة مركزا في أعماله الإبداعية على البطل النموذجي المتفرد الذي تخطاه الزمن في مرحلة انحسار النضال التحرري الجماعي ، فجاء هذا التركيز ضربا من الوهم والركون .³⁸²

البطل الإيجابي ودوره عند حنا مينه :

لقد أصبح الحدث الروائي عند الكاتب مسخرا لخدمة البطل الإيجابي النموذجي الذي هو بمثابة قطر يدور حوله كل شخوص العمل الروائي ، رواية " بقايا صور " نجد أن هناك تناسب واقعي بينها وبين الزمن الذي عاشت فيه ، فكانت حنا مينه واقعيًا عندما صور وضع والده السكير واللامبالي ، والقاسي على زوجته بدون زحرفة أو مبالغة ، فالعمل في " بقايا صور " كان يحلم بالأب النموذجي الذي كانت صفاته متوفرة في الخال المتوفي ، كما أن مجموع الإحباطات العديدة والمتراكمة في أعماق الكاتب منذ طفولته نتيجة للمعاناة من الإذلال المتكرر الذي تعرضت له أسرته

³⁸⁰ مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه ، الطبعة الأولى 1991 ، دار الذاكرة ، ص 13

³⁸¹ المرجع نفسه ، ص 14

³⁸² مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه الطبعة الأولى ، 1991 ، دار الذاكرة ، ص 15

على يد الإقطاع والمخاتير و أزالام السلطة قد جعلته مشدودا منذ الطفولة إلى الرجل القوي المتقدم الذي داعب خيال الطفل عبر ذكريات الوالدة عن الحال .

فعندما كبر الطفل واستوى عنده الأسلوب الكتابي وحرقة الأدب قام بتصميم هذا النموذج وجسده بالبطل الشعبي القادر على حماية الضعفاء والمحرومين والدفاع عنهم ضد كل من يلحق بهم الأذى ، وقد تحققت هذه الأمنية " رواثيا يتجسدها في شخص صالح حزوم .³⁸³

وقد بالغ الكاتب كثيرا بمزايا بطله ، فوهبه مقدرة خارقة وشجاعة ووظفه كبطل قومي يخوض المعارك ، وكل الذين يستغلون الفقراء .

إلى جانب البطل الرئيسي لأية رواية ، كان الكاتب يضع شخصية المناضل السياسي وهو بمثابة الامتداد والبعد والوعي المسيس للبطل ، فكان دوره مرتبط ببطل الرواية فهذه الشخصية انحصر دورها في مهمة واحدة حددها له الكاتب ، وهو أن يرشد بطل الرواية في الحقلين الإيديولوجي والسياسي فقط ، أما المهمات الفعلية فهي من شأن بطل الرواية ، والملقن السياسي كان بمثابة صديق البطل وضميره الإيديولوجي الواعي يأخذ دور السند العقلاني ، وكان المناضل السياسي بمثابة معلم ومرشد روحي وفكري وضمير أعلى في رواية " بقايا صور " .³⁸⁴

كما افتقر معظم شخوص حنا مينه الروائيين إلى التأملات المتوترة والغوص إلى أعماق النفس و اتسمت مواقفهم بالعمومية والسطحية وأسندت بمحملها إلى ردود الأفعال أكثر مما اعتمدت على التحليل والتعميق في أبعاد الظاهرة وانطلق موقفهم النضالي الوطني أو الطبقي وأفعالهم جاءت محصلة لدوافع عاطفية وليست عقلية ، أما خيراقتهم ومعارفهم فهي مستمدة من تجارب الحياة العملية .

اسم الرواية	البطل الإيجابي	المناضل السياسي
بقايا صور	الطفل	الحال برهوم ³⁸⁵

حنا مينه والمرأة :

³⁸³ المرجع نفسه ن ص 17

³⁸⁴ مراد كاسوحة - الرؤية الأيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه الطبعة الأولى 1991-دار الذاكرة، ص 20

³⁸⁵ المرجع نفسه ، ص 22

كان موقف حنا مينه من المرأة يتسم بالمحافظة في أعماله الإبداعية ، نجده شديد الدفاع عنها وعن قضاياها في مقالاته وتصريحاته الصحفية ، ولم يكن للمرأة العاملة فلاحه كانت أو معلمة أو طبيبة ، دور يذكر في روايات حنا مينه إنما تعرفنا عليها من خلال أعماله وفي بعض النماذج ، والنموذج الذي تقتضيه رواية " بقايا صور " هو نموذج يشمل سلطة القمع التي يمارسها الأزواج بحق نسائهم ³⁸⁶ فالأب ومعاملته للأم أو الزوجة بالنسبة له حيث لم نعثر في هذه الرواية على علاقة زوجية سليمة تركز على حياة أسرية طبيعية وسعيدة ، لأن حنا مينه كان خاضعا لمفاهيم إيديولوجية (الذكورة) السائدة ، فالمرأة عنده إيجابية بمقدار ارتهاؤها للرجل وخضوعها العاطفي والجسدي له أما الجنس فهو مقولب عند حنا مينه حسب مزاجه المتكيف مع القيم السائدة وبالتالي لم تعد المرأة موضوعا جماليا أو إنسانيا بقدر ما كانت موضوعا أنثويا تتحدد قيمته من خلال العطاء الجنسي البحث لذلك لا يجب أن نقطع تصريح الكاتب بأن " المرأة والمستقبل هما قضية الأدب " ³⁸⁷

ومثلما أطر حنا مينه الرجولة بالشهامة والشجاعة ، فإن الأنوثة برأيه متعلقة بتجربة المرأة ومعرفتها بأمر الجنس ، لأن حنا مينه يفضل دائما ما هو متميز وخالق ويكره العادية " أكره العادية أقتل العادية " ، تعتبر الأم في رواية " بقايا صور " هي مثال للمرأة الرصينة والمتدينة ونموذج الطهر الأنثوي نجدها تبارك الأرملة التي أغواها الوالد ، كما غفرت لزنوبة سلوكها الشائن اعتمادا على كلمات المسيح حول المجذلية " من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر " ومثلت المرأة في أعمال حنا مينه " بقايا صور " مثال : نموذج الخضوع والرضوخ لإرادة الرجل وسيطرته ، حيث تضرب وتهان دون أن تبدي إشارة احتجاج أو تمرد . ³⁸⁸

حنا مينه والواقعية الاشتراكية :

كان حنا مينه يقطع سبل المناقشة والحوار حول أعماله قائلا " صوتي هو صوتي أنا المتميز ، وطريقتي هي طريقتي أنا ، ولن أضع " مساطر " الروايات ، ولا مفاهيم الآخرين ، مقاسات أفضل روايتي على حجمها ...إنني أجتهد في عملي ، ولكن حين أفرغ منه أقول هذا ما استطعته والسلام "

إن اعتراف الكاتب بمحدودية (استطاعته) يشكل إقرارا سليما ومنطقيا بأن أي روائي ومهما كانت قامته الأدبية إلا أنه لا يستطيع إعطاء إجابات على جميع المسائل التي يطرحها عصره ، ولكن

³⁸⁶ مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه الطبعة الأولى 1991 ، دار الذاكرة ، ص 24

³⁸⁷ المرجع نفسه ، ص 25

³⁸⁸ المرجع نفسه ، ص 26

هذا التواضع سرعان ما يخنفي أمام تصريحات صحفية حينما يدعي بكلية المعرفة فيما يتعلق بالمدرسة الواقعية الاشتراكية . 389

وبالرغم مما كانت منه روايات حنا مينه من مآزق الدوران حول محور هو البطل الشعبي الإيجابي كنموذج متفرد دون أن يتمكن الكاتب من أن يفك نفسه من أسر هذا المحرر الإشكالي الذي وضعه في موقع العجز أحيانا على مقاربة المهام الأساسية المطروحة أمام الأدب على أرض الواقع ن في الوقت الذي بقيت معظم أعماله مرهنة رومانسيا بمرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية " طفولة وشباب الكاتب " .

التي استمد منها رؤية ثابتة ومطلقة للأمور انعكست على مؤلفاته المتأخرة لكن هذا لا يلغي الدور الإيجابي الذي لعبته أعمال حنا مينه في تجاوزه للرومانسية النائية في الرواية السورية وتكريسها للواقعية ذات المنحى الإيجابي في الأدب العربي المعاصر ، بينما جرت مبالغات كبيرة في استعمال مصطلح " الواقعية الاشتراكية " و أكثر من وقع في شرك هذه المبالغات هو حنا مينه ذاته ، حيث التقط المصطلح من بعض النقاد الذين صنفوا أدبه ضمن خانة " الواقعية الاشتراكية " و أخذ ما يعتبر نفسه رائدا و مؤسساً لهذا المذهب في الأدب العربي المعاصر من خلال اكتشافه للبعد الثالث في الواقعية وهو المستقبل " إنني من كتاب الواقعية الاشتراكية في الوطن العربي ورواياتي بشهادة كبيرة على عظمة الواقعية . 390

" جاء دور الواقعية الاشتراكية في بعدها المستقبلي الذي اكتشفته ويسرني أن أكون واحدا من المبشرين بمدرستها لا من خلال التنظير بل من خلال التطبيق . 391

إذ كنا نوافق الكاتب على قوله بأنه أديب البحر فلأن هذه حقيقة لا شك فيها لكننا نستطيع أن نسجل تحفظنا على قوله بأنه أديب الواقعية الاشتراكية فحتى لا يفقد المصطلح معناه لا بد من الإشارة إلى أن الواقع الحياتي الاجتماعي المعاش فعلا ، والذي عبر عنه الكاتب في أعماله الإبداعية ليس واقعا اشتراكيا ، إنما هو واقع ومتأخر لا يلوح في افقه المنظور أي توجه اشتراكي بالمعنى الفعلي لكلمة الاشتراكية ، وليس بمعنى الأمنية أو الحلم ، لأن المجتمع لا يزال في طور مرحلة التحرر الوطني .

389 مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه الطبعة الأولى 1991 ، دار الذاكرة ، ص 28

390 المرجع نفسه ، ص 29

391 مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه ، الطبعة الأولى 1991 ، دار الذاكرة ، ص 29

إن الواقع ينعكس في ذهن الكاتب ثم تتحول عملية الانعكاس هذه إلى عمل إبداعي، وبالتالي فإن هذا النتاج الأدبي أو الفكري لا يتجاوز حدود الواقعية النقدية .

- لقد اعتبر حنا مينه نفسه من مكتشفي البعد الثالث في الواقعية أي المستقبل وبالتالي من مؤسسي الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي مستندا في ذلك مقولة بأن أي رواية تتضمن البطل الإيجابي والنهاية المتفائلة فهي تصنف حتما ضمن مدرسة الواقعية الاشتراكية ، ليس هناك شك من أن حنا مينه من كتاب الواقعيين ، لكنه لا يعتبر مؤسسها لها ، على الرغم من انتمائه العقائدي للماركسية لأن الانتماء الإيديولوجي ، أو الحزبي ليس بالضرورة وراء إنتاج أدب ماركسي وأدبه الذي لا يخلو من أفكار انتقائية ومثالية ودينية تتجاوز جميعها الأفكار الماركسية التي يعتنقها .³⁹²

يضاف إلى كل ذلك بأن الشكلائية الأخلاقية الساذجة قد إستهوت كاتبا فتنهاها ودافع عنها بأسلوب مباشر حيث دفع بأبطاله " الايجابيين " نحو تفاؤل بالمستقبل السعيد والحتمي فهذا جعل هؤلاء الأبطال يركنون بتكاسل فهو بهذا لم يجرس لا على وعيهم ولا على أفكارهم بقدر ما حرض على أحاسيسهم و انفعالهم ، بحيث الأمانى الذاتية والتفاؤل الساذج غير المرتكز على أساس فكري أو تاريخي لا يخلق واقعية اشتراكية في الأدب وليس كل من صنع بطلا إيجابيا أو ختم روايته بنهاية متفائلة انتمى إلى مدرسة الواقعية الاشتراكية ، فهذا الإغراق في التبسيط هو ابتذال المضمون المصطلح ومعناه ، وتحايل على التاريخ من خلال الوقوف على مقاييس شعاراتية الزائفة ، والواقعية كتيار أدبي في المجتمعات ، لا يمكن أن تكون إلا واقعية نقدية .³⁹³

هدفها كتجل أدبي وفني لوجدان الشعب ، هو فضح الاستغلال والتعبير الإيديولوجي والفني عنه . وتعتبر هذه الواقعية النقدية تعبير عن واقع جديد انتزعت فيه الملكية الخاصة وانتهى فيها استغلال الإنسان للإنسان .³⁹⁴

- الواقعية النقدية تفترق عن الواقعية الاشتراكية لا من حيث أنها تقوم على منظور اشتراكي محدد فحسب ، ولكن أيضا من حيث أنها تستخدم هذا المنظور في وصف القوى التي تعمل في سبيل الاشتراكية من الداخل ، فالمجتمع الاشتراكي يرى كوحدة مستقلة لا مجرد إحباط للمجتمع

³⁹² المرجع نفسه ، ص 30 ، 31

³⁹³ مراد كاسوحة، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه، الطبعة الأولى 1991، دار الذاكرة، ص 31

³⁹⁴ المرجع نفسه ، ص 32

الرأسمالي أو ملاذ من مشكلاته ، كما في حالة أولئك الواقعيين النقاد الذين وصلوا إلى أقرب نقطة لاعتناق الاشتراكية .³⁹⁵

إن الواقعية النقدية ذات التوجه الإيجابي هي التي تعكس الواقع الراهن وتفاعلاته.³⁹⁶ فالأدب لا يكون خارج عصره ، لأنه انعكاس للواقع الموضوعي فإذا كان الإنسان جزءا من مجتمعه ، فإن الأدب هو الذي يصور هذا الجزء مثلما يعبر عن الكل وبالتالي فإن واقعية الكتاب التقدميين والماركسيين خارج أي نظام اشتراكي هي واقعية نقدية أو ثورية وتمهيد للواقعية الاشتراكية التي تعكس مضمون عصر جديد في الحياة والتفكير ، ولقد تبلورت كمدرسة وكمنهج أدبي وفني مع انتصار ثورة أكتوبر في الإتحاد السوفييتي ، ولم تأت من فراغ ، بل جاءت كمحصلة لنضج الظروف الموضوعية .³⁹⁷

وتستمد الواقعية النقدية الجديدة المزيد من العبر والدروس من تجارب الشعوب التي خاضت نضالات ثورية طويلة .³⁹⁸

وتحدد مكانة ودور أدب حنا مينه في الأدب العربي المعاصر وبناءا على المعطيات التي أمامنا على عدم انتماء أدبه إلى مدرسة الواقعية الاشتراكية بقدر ما تشير إلى انتمائه إلى الواقعية النقدية .³⁹⁹

الرؤية النفسية :

تعد مسألة معرفة نفسية الروائي على ضوء رواياته ، من أهم الأهداف التي يتوخاها التحليل النفسي ، كمحاولة لرصد جذور النفسية الكمينية التي يستمد منها الروائي مادته الإبداعية ، حتى وإن كان رأي حنا مينه في هذا وحول تأثره ببعض الروائيين يكشف عن عدم إعجابه لهذا الأسلوب ، فهو لا يعجب بمورافيا الذي يطبق علم النفس على قصصه ، ولا بفولكتر أيضا ولم يقرأ جيمس جوايث ولا يطبق قراءاته كما يقول " دوستوفسكي ولا يرفض رواية تيار الموجة الجديدة و يقول " ولكني لا أجدها رواية باقية .. هذا أنا مخطئ تقولون؟ جائر إنما أنا أعبر عن شعوري بصدق ، وسأبقى كاتباً واقعياً .⁴⁰⁰

³⁹⁵ د. إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، الطبعة الثانية ، ص 379 ، دار المناهل للنشر والتوزيع

³⁹⁶ مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والمورث الديني في أدب حنا مينه ، الطبعة الأولى ، دار الذاكرة ، ص 32

³⁹⁷ المرجع نفسه ، ص 33

³⁹⁸ المرجع نفسه ، ص 34

³⁹⁹ المرجع نفسه ، ص 35

⁴⁰⁰ د ، إبراهيم السعافين ، تطور الرواية الحديثة في بلاد الشام ، دار المناهل الطبعة الثانية ، 1987 ، ص 410

ولقد اهتم برسم الشخصية من الخارج على عكس الاتجاه السابق الذي غلب عليه استبطان الشخصية من الداخل وكشف أسرارها الدقيقة .

لقد أكدنا في تحليلنا للشخصية الروائية في أعمال حنا مينه على أهمية الأب والأم باعتبارهما شخصيتين روائيتين وبحكم صلتها بسيرة الكاتب الذاتية إن الروائي صانع يكتب عوض أن يفعل فهل هذا التعريف كافي لتبرير أهمية العامل النفسي ؟

فصورة الأم لا تتغير بتغير الأب في الرواية ففي " بقايا صور " يجد الطفل نفسه بين طرفي نقيض ويتمثل المثلث العائلي وداخل هذا المثلث يوحى الروائي وهو ينضد بنفسه الفضاء⁴⁰¹ العاطفي بما يجب إنكاره ويكشف الغاية التي يكتب من أجلها ويتحاشى باستمرار الخطر الذي حملته إليه رغبته المنووعة لكي ينتهي إلى التلاعب مقتدرا بمصير أوديب المأساوي ، لقد أحب فعلا حنا مينه أمه حيث يرسم صورة الأم التي تترك ولدها الصغير باكيا فتشتغل لدى أسيادها قائلا " كان طفلها يركض وراءها باكيا ، ويناديها أن تعود إليه وكانت قد عادت للمرة الثانية وأخذت طفلها بين ذراعيها وقبلته ومسحت دموعه ووعدته بالحلوى حين تعود في المساء " .⁴⁰²

وتظهر لنا عقدة أوديب في حاجة حنا مينه الأكيدة إلى عاطفة الأم وحبها هي التي كانت تختفي كامل اليوم فقال " أفقت داخل البيت وحسبت أن الأم عادت وأنها مع أخواتي في الحقل فلما فتحت الباب ولم أحدها بكيت لعلي صدمت " وعندما عادت الأم ساءها بكاؤنا وقالت إنما صرنا كبار .

وهكذا ترتبط صورة الأم بمعنى الكبت العاطفي والاجتماعي معا .

وهكذا عاش حنا مينه وهو يحس أن حاجته العاطفية اتجاه أمه لم تلب ، فعندما أصبح رجلا حرمتة الحياة الصعبة التي عاشها من حنان الأم ، فهو يروي حادثة بليغة التأثير والدلالة ، إذ يقول " ويحرم من رؤية أمه عشرة أعوام ، وفي ليلة عودته وقبل أن تعانقه تفي بنذرهما ، لقد نذرت أن تزحف على يديها وركبتيها من البيت إلى مكان وقوف السيارة التي أقلته ، وصادف أن كان يوم وصوله ممطرا والسيارة واقفة بعيدا لوقوع البيت على زاروب ضيق ، رغم ذلك دب في الظلمة هي التي في السبعين ، كطفل رضيع وتبلت بالمطر وتلوثت بالماء والطين حتى بلغت السيارة وقبلت عجلاهما وجوانبها ، ثم هضمت لتعانق ابنها الغائب "

⁴⁰¹ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ط 1 1993 ، ص 256

⁴⁰² المرجع نفسه ، ص 257

قد تصرف حنا مينه منذ الطفولة تصرف رب الأسرة ، فهو يصف حالته النفسية وحالة أمه عندما قرر لأول مرة أن يدخل الشغل ، فذات يوم فاجأ الطفل حنا مينه أمه وهي تبكي طفلتها الميتة فشرع يبكي معها يقول " حضنت رأسي بصدرها ، طمرته في عنقها فشمنت آنذاك عطر الأمومة " فقد حتم عليه غياب الأب أن يفعل شيئا من أجل أمه و أخواته ، وهكذا تجسم الأم العاطفة المحرومة والطهر بالنسبة إليه ، فكل امرأة بالنسبة إليه مريم العذراء .⁴⁰³

كما تظهر في أعماله عقدة إلكترا المحرفة فهي لا تقل أهمية لكنها لا تذكر قليلا لأنها عنصر ذاتي يتصل بأخت الكاتب الكبرى ففي " الأبنوسة البيضاء " و " على الأكياس " يتحدث عنها على هذا النحو " أما الشقيقة الرابعة فقد غادرتنا ولم أكن أعرفها ... ومن الهمس الذي يدور عرفت أن حادثا وقع لها كانت خادما في أحد البيوت ثم فرت مع رجل وتزوجته ، أحست أنها خالفت إرادة الأسرة فنفوها وتجنّبوا في البيت ذكرها ... " وهو يروي في قصته " هل تعرف دمشق يا سيدي " سفره إلى دمشق باحثا على ابن أخته الذي هجرته أمه ويشير إلى أن هذه الأخت دون أن يقول كيف ، ويلاحظ المتبع لأعماله أنه صمت عن قصتها ، فيبدو الأمر متعلقة بمسألة أخلاقية ، حيث يبدو أن الأخت حددت صورة المرأة العاهرة ، فكل عاهرة في روايات حنا مينه تحمل بذرة تمرد ، فالكاتب دائما يرفع من شأن المرأة ، فدائما يحملها رمز القضية الوطنية ، وهذا الشعور اللاوعي ذو علاقة بالأخت التي ضاعت اجتماعيا ويرسم صورة جميلة عن المرأة العاهرة مثل : زنوبة في " بقايا صور " فهي امرأة ترتقي إلى مرتبة إنسانية بالرغم موقف المجتمع منها.⁴⁰⁴

كما نجد طفولة حنا مينه متأثرة ببالغ التأثير بحضور الأب ، فالكاتب يذكر والداه " بقايا صور " حيث يقدم له صورة بشعة عنه رجل مهمش لا مسؤول غير قادر على مواجهة الأحداث الاجتماعية ، فهو بالتالي يخلو من كل صفة ترفع من شأنه في عين والده باستثناء حكاياته الشعبية وتجاربه الاجتماعية التي لعبت دورا هاما في تكوين الكاتب الاجتماعي والأديب .⁴⁰⁵

أما عن البعد النفسي تتسع رفعتة في الرواية ، حيث تختلف مظاهرها بتنوع النماذج البشرية المكونة لأحداثها وأطوارها ، فنستشعر المعاناة والبؤس ومتاعب الحياة التي كانت تصكه ، صكا ، وملاحقة شبح الجوع ليلا ونهارا ، فلم تظمن معدته إلا سويغات معدودات في اليوم الطويل ، فكان عمله الدراسي منقطعاً بسبب عدم وجود الحذاء ، فاشتد هزالة وشحب وجهه حتى خاف

⁴⁰³ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 257

⁴⁰⁴ محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 260

⁴⁰⁵ المرجع نفسه ، ص 261

عن نفسه ، فاحتوت الرواية على الغضب والخوف والسخرية والجرأة والاستغلال الرؤية الاجتماعية

⋮

إن ما نلمحه عن الروائي حنا مينه أنه في هذه الرواية يضع اليد على الكثير من فواقع المجتمع الأساسية أو على جذورها وهي طرح البؤس الإنساني من الداخل والخارج بكلمات بسيطة تحرق حاجز الزمان والمكان ، وتغلو القضية برمتها قضية العدالة الاجتماعية المفقودة ، وصراع متخبط لأجلها وتكشف في المحاولات الفردية والجماعية الجائحة ، ولكن العقوبة للكفاح ضد تلك المصادر فيها تبدل شروط الحياة الاجتماعية فلا سبيل إلى الانتصار وتحقيق الأمن الاجتماعي غير أن الفقراء في ذلك الزمان ما كانوا يعيشوا الكفاح ولا حذاي شيء يكافحون ولا بأية وسيلة ، فتتحلى جدلية الصراع على المستوى الاجتماعي فمن الخوف من الإقطاع حيال المختار والفلاحين اتجه السرجان والإقطاعي .⁴⁰⁶

مما يلاحظه القارئ في رواياته أنها روايات تحليلية ، فالكاتب اعتنى عناية خاصة بتحليل الهياكل الاجتماعية في سورية الحديثة منذ الحرب العالمية الأولى ففي الريف وفي " بقايا صور " نجدها تكتسي أهمية خاصة وتساعد على إبراز رؤية المؤلف⁴⁰⁷ ، يلوح الريف السوري في هذه الأعمال متخبطا في تناقضاته الاجتماعية ، فهو يعيش صراعا حادا بين طبقتين هما : كبار المالكين والفلاحون الفقراء ، وتقوم العلاقات الاجتماعية على نظام الإقطاع ، فأصحاب الأراضي الذين يقطعون في أغلب الأحيان المدن لا يترددون في استعمال السوط لردع الفلاحين ، ومعاقبتهم فهم سادة عبيدهم ، فالمالك الكبير عندما يسرف يلتجئ إلى ضرب الفلاحين الذين يشتغلون عنده .⁴⁰⁸ أما في المدينة فتبدو الهيكلة الاجتماعية واضحة ومعقدة في نفس الوقت ، حيث هناك ثنائية القوي والضعيف مستغل ومستغل ، تسم العلاقات الاجتماعية في الريف فإن السلسلة من العلاقات الاجتماعية ، في تطور مستمر ، تمنح المدينة هويتها⁴⁰⁹ ، فهي تجلب المثقفين من أصل ريفي ، تستقطب كل هذه العلاقات في تناقضها وتداخلها ولكن البرجوازية الصغرى تظل في تصور الكاتب النواة المركزية

410 .

⁴⁰⁶ حنا مينه ، بقايا صور ، دار النشر بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1975 ، ص 473

⁴⁰⁷ محمد الباردي ، حنا مينه روايات الكفاح والفرح ، دار الآداب ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 212

⁴⁰⁸ المرجع نفسه ، ص 213

⁴⁰⁹ المرجع نفسه ، ص 214

⁴¹⁰ المرجع نفسه ، ص 215

يقوم التحليل الاجتماعي في أدب حنا مينه على نظرية " الوحدة والتناقض " فهو يرى أن مبدأ التناقض الاجتماعي ضروري لفهم المجتمع ، ولا أحد ينكر حقيقة تناقض الأشياء وخلاف التناقضات والطبقات ⁴¹¹ فلا شك إذا أن حنا مينه في رؤيته الطبقة مساندا إيديولوجيا للعمال والفلاحين ، فهو يعتقد أن المستقبل لصالح الطبقة المستضعفة ⁴¹² نجد ثقافته الشخصية أثرت في تحاليله الاجتماعية حيث يبدو لنا سلم المسيحية حضر بارز في هذه الرؤية للواقع والمجتمع ، وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن رؤية المجتمع والواقع لدى حنا مينه يتجاوزان قطبان أساسيان : متطلبات الواقعية وما تقتضيه من مفاهيم وتربيته الدينية المسيحية ولعل هذا ما يمنح الكاتب خصوصيته وطرافته ⁴¹³ فهذا نجده عالج عدة قضايا اجتماعية ، الطبقة ، الاستغلال ، الفقر ، التشرد ، قضية المرأة ، وهناك من ربطها بالعامل الاجتماعي الآتي منه ، لأنه عاش حياة تشرد وفقر وجوع ، ولكنه لم يكن راغبا في ذلك ، بل كانت تجربته بمثابة الواجب الذي فرضه عليه المجتمع

414 .

الرؤية الوجودية :

في رأي سارتر :

" الوجودية الوعي بأن الإنسان حي ، هو الذي يضيف على الإنسان وجوده ككائن حي ، فالحياة الحقيقية ليست الأكل والشرب إلخ " . ⁴¹⁵

إذا تحدثنا سابقا عن الواقعية بأشكالها المتعددة فإننا نفسح المجال لظهور تجربة جديدة تعبر عن فترة القلق واليأس و إعادة النظر في النظام الأخلاقي و الفلسفي و الركائز القديمة من أمثال الوجودية ، فلقد ظهرت مجسدة في رواية " بقايا صور " فهي تتحدث عن حياة البطل " الطفل " في فترة صباه ، حيث تعرض للفقر والحرمان وعدم الاستقرار من خلال هذه الرواية التي صور فيها تجربته الذاتية أو تجربة " البطل " جاء فيها وضوح أثر الفلسفة الوجودية في فكر البطل ، ومريديه من الشخصيات الأخرى ، حيث يبدو وضوح الرؤية الفكرية التي فرضها المؤلف على شخصيات الحكاية ، فالكل من خلال ما استشعرته أسرة البطل تتمتع بجريته وتحمل مسؤوليته .

⁴¹¹ محمد الباردى ، حنا مينه ، روائي الكفاح والفرح ، دار الآداب ، الطبعة الأولى 1993 ص 217

⁴¹² المرجع نفسه ، ص 221

⁴¹³ المرجع نفسه ، ص 222

⁴¹⁴ المرجع نفسه ، ص 262

⁴¹⁵ محمد محمد بالروين ، مذاهب فلسفية كبرى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة 1995 الطبعة الأولى ، ص 163

وعلى هذه الحرية ليست مسألة فردية و إنما هي مسألة تاريخية اجتماعية إن الوعي الاجتماعي الطبقي التاريخي لحكم الضرورة هو الكفيل بالثورة عليها ، و عبر ثورة يتم الانتقال إلى مملكة الحرية حيث أن الشخصية التي تبحث عن ذاتها في عالم تقف أمام سره مشدوهة حيرى ، لا يمكن لها أن تكتشف ذاتها إلا من خلال اكتشاف العالم ، لتتمكن من تأصيل وجودها في إحدى محطاته ، إذا كانت الرواية تهدف إلى رصد الأفراد ، فإن حنا مينه ينمط قيم الطبقة من خلال هؤلاء الأفراد⁴¹⁶ لذا فإن الفرد محكوم بشبكية الضرورة الخارجية التي تفرز الاعتراب ، و ضرورة داخلية هي جزء وانعكاس للضرورة الخارجية ، ففي " بقايا صور " يلتقيان كلتا الضرورتين ، لتسحق بفضاضة مريعة كل إنشداد إنساني للوقوف على الأقدام⁴¹⁷.

فإن كاتبنا الذي يمارس كشفه للواقع التاريخي ، إنما يرى أبعاد الضرورة المستحكمة لتتسم عملية الاستكشاف " الوعي " من قبل شخصه لعناصره وعندما تعرف الضرورة تلغى عشوائيتها ، ويتم السيطرة عليها ، والانتقال للحرية لا بمعناها الإمبريالي ، بل بمعناها الإنساني ، فالخوف والجراءة لا تخرج عن إطار الصراع المميت بين الحرية والضرورة فالحرية هنا امتلاك الانتماء الواعي ، من أجل التحرر على مواجهتها والانتصار عليها ، والضرورة ناجها الاعتراب الخارجي والداخلي ، وتناجها الخوف من قمعيتها التعسفية .⁴¹⁸

الخاتمة : يعتبر حنا مينه فعلا كاتب الكفاح والفرح ، استطاع من خلال الواقعية أن يرسم نهجه الخاص في كتابة الرواية العربية ، يمتلك أسلوبا يتميز به في الرواية السورية بصفة أخص إذ استطاع أن يبني عالما روائيا متماسكا مجد فيه الإنسان ورسم بطولته وكفاحه من أجل الحرية والعدالة والمساواة والحب ، ولقد تضافرت مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية على تحديد مؤلفات ولعل أهمها حياته العائلية ، وتجربته الاجتماعية ، وقد اكتشفنا أن الرواية العربية مع حنا مينه عوضت الشعر إلى حد بعيد لتصبح ديوان العرب في العصر الحديث .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

حنا مينه — بقايا صور الطبعة الأولى 1975 — الطبعة الثانية 1981

دار الآداب 358 صفحة مع مقدمة لنجاح العطار

⁴¹⁶ عبد الرزاق عيد ، عالم حنا مينه ، الروائي ، دار الآداب بيروت ، 1979 الطبعة الأولى ، ص 55

⁴¹⁷ المرجع نفسه ، ص 56

⁴¹⁸ عبد الرزاق عيد ، عالم حنا مينه ، الروائي ، دار الآداب بيروت ، 1979 الطبعة الأولى ، ص 56

المراجع :

- إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، الطبعة الثانية ، دار المناهل
- عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ، الطبعة الأولى 1995 ، ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر
- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، الطبعة الثالثة ، دار النشر بيروت بلبنان .
- محمد الباردي ، حنا مينه روائي الكفاح والفرح ، الطبعة الأولى 1993 ، دار الأدب .
- محمد كامل الخطيب ، عبد الرزاق عيد ، عالم حنا مينه الروائي ، الطبعة الأولى 1989 ، دار الآداب
بيروت .
- محمد محمد بالروين ، مذاهب فلسفية كبرى ، الطبعة الأولى 1995 ، دار النهضة العربية .
- مراد كاسوحة ، الرؤية الإيديولوجية والموروث الديني في أدب حنا مينه ، الطبعة الأولى 1991 ، دار
الذاكرة .
- يحيى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي ، الطبعة الأولى ، دار النشر بيروت .